جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
الفرع : فلسفة
التخصص: فلسفة عامة

رقم: .....

إعداد الطالبة:
قواسمي سمية

يوم: 10/10 /2020

التربية و الحضارة في فكر مالك بن نبي

لجنة المناقشة:

حمدي لكحل	د	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	مقررا
محمد بن جلطي	د	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	رئيسا
معاريف أحمد	د	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/1019

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلْ رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً"

سورة طه {١١٤}

صدق الله العظيم

إهداء

أحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذه المذكرة و توفيقي ومنحي الجهد و المثابرة

إلى روح حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي هذا العمل إلى أمي جنتي، إلى من أثقلت جفون سهرا وحملت الفؤاد هما وجاهدت الأيام بكل صبر و شغلت البال فكر، ورفعت الأيادي دعاء بالله أملا وثقة، وإلى من كانت ترسم على وجهي بريقا من السعادة أهديك هذا العمل والجهد يا نبع حناني

حفظك الله ورعاك لي من كل سوء وأطال في عمرك ومنحك الصحة وراحة البال يارب

إلى من تعجز الكلمات عن تقدير فضله، إلى من تربيت في عزه وترعرعت في حنانه وإنبثقت على يديه ثقتي بنفس، إلى رمز الأثار الذي رعاني صغيرة

إلى أبي الغالي حفظك الله ورعاك ومنحك السعادة والهناء وطول العمر يارب

إلى من سعت وشقت لأنعم بالراحة والهناء، والتي لم تبخل عليا يوما بشيء، من أجل دفعي إلى أعلى المراتب وأرتقي إلى سلم مرموق في الحياة.

أدعوا من الله أن يحرصك ويرعاك من كل شر ويطيل في عمرك يارب العالمين

أهدي هذا العمل إلى من تمنيت من كل قلبي وجوارحي أن يشاركني في هذه اللحظة وأرى في عينه بريق السعادة والفرح لي، إلى من تغمدت روحه التراب.

خالي الغالي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى زهور الحب وينابيع الإخلاص إخوتي: هديل، شريف.

إلى براعم بيتنا: غفران ، أسنات، هاجر، محمد عبد النور.

إلى أهلي وأحبابي وكل من تمنى لي الخير والتوفيق من بعيد وقريب.

أهدي لكم جميعا هذا العمل العلمي المتواضع.

شكر وعرفان

قال الله تعالى

{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُو لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ .....} البقرة الأية 152.

نحمد الله ونشكره على كرم عطائه وجزيل فضله علينا وتسيره لنا كل السبل.

فالحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف: حمدي لكحل حفظه الله ورعاه ووفقه في حياته على نصحي وإرشادي وتوجيهي في هذا العمل.

فله مني كل فائق الإحترام والتقدير.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لأعضاء اللجنة المناقشة لقبولهم مناقشة عملي هذا.

كما أتقدم بالشكر لكل من قدم لي يد المساعدة سواء من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل العلمي المتواضع.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الواجهة	/
إهداء	/
شكر وعرفان	/
الفهرس	/
مقدمة	**أ – و**
الفصل الأول: مقاربة مفاهيمية لفكر مالك بن نبي	**7– 29**
تمهيد	8
المبحث الأول: مصادر فكره	9
1– الحركة الإصلاحية مع عبد الحميد بن باديس	9
2– أرلوند توينبي	12
المبحث الثاني: حياته وسيرته	14
1– مولده ونشأته	14
2– آثاره (مؤلفاته) ووفاته	16
المبحث الثالث: مضامين فكر مالك بن نبي	24
1– فلسفة الحضارة والتاريخ	24
2– فلسفة التربية والثقافة	26
خلاصة	29
الفصل الثاني المشكلة التربوية عند مالك بن نبي	**30 – 80**

تمهيد	31
المبحث الأول: ضبط المفهوم العام للتربية (أهدافها – خصائصها)	32
1- تعريف التربية (لغة وإصطلاحا)	32
2- التطور التاريخي للتربية عبر العصور	34
3- أهدافها و خصائصها	47
المبحث الثاني: مفهوم التربية عند مالك بن نبي	50
1- أبعاد التربية عند مالك بن نبي	56
2- أهداف التربية عند مالك بن نبي	69
خلاصة	80
الفصل الثالث: مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي	**111 – 81**
تمهيد	82
المبحث الأول: ضبط المفهوم العام للحضارة	83
1- تعريف الحضارة (لغة و إصطلاحا)	83
2- التطور التاريخي للحضارة عبر العصور	85
المبحث الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي	89
1- تعريف الحضارة عند مالك بن نبي	89
2- شروط الحضارة مالك بن نبي	92
3- مراحل الحضارة مالك بن نبي	106
خلاصة	111
الفصل الرابع: علاقة التربية بالحضارة عند مالك بن نبي	**130 – 112**
تمهيد	113

المبحث الأول: نظريا	114
1- الإستراتيجية التربوية للتغير الإجتماعي عند مالك بن نبي	114
2- أولويات التربية من أجل التغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي	117
3- عوامل التغيير الإجتماعي (الأبعاد التربوية لعملية التغيير)	120
المبحث الثاني: عمليا	126
1- تأثير فكر مالك بن نبي في العالم الإسلامي" ماليزيا نموذجا"	126
2- الأهداف والأولويات والإهتمامات التربوية " لدى ماليزيا"	128
خلاصة	130
الخاتمة	132
قائمة المصادر والمراجع	137
الملخص	143

مقدمة

مقدمة:

يعد مالك بن نبي من بين المفكرين المعاصرين في الجزائر خاصة والوطن العربي عامة الذين قد تناولوا وشغلوا فكرهم وإهتمامهم بفكرة الحضارة، التي كان لها صدى كبير عند مالك بن نبي وهذا ما نجده في جل كتبه ومؤلفاته، التي جاءت بعنوان "مشكلات الحضارة" وقد تناولها من نواحي وأبواب مختلفة ومتعددة من ناحية نفسية ووظيفية، ودرس النقائص والحلول، وذلك من أجل الخروج بحضارة وتاريخ إنساني خالي من كل الشوائب والرواسب وخالي من أشكال التخلف والجهل.

ونجده قد ربط فكرة الحضارة بالتربية بإعتبار أن التربية عملية إجتماعية، موضوعها هو الإنسان وبما أن الإنسان هو المحور المركزي الذي تقوم عليه الدراسة، ولذلك جعل مالك بن نبي من التربية كأداة ووسيلة للتغيير الإجتماعي فهي تقوم على تشكيل نظاما تربويا يساهم في البناء والتجديد الحضاري.

وأسباب إختياري لهذا الموضوع (التربية والحضارة في فكر مالك بن نبي)، وذلك راجع للدور والأهمية البالغة لكل من التربية والحضارة، والعلاقة العضوية التي قد تجمعهما ودورهما في تحقيق إقلاع حضاري، وبإعتبار أن الإنسان هو المادة أو الركيزة التي تقوم عليها التربية بمعنى تربية الإنسان لكي يتحقق ويتم التغيير الإجتماعي.

وتتمثل الأهمية القصوى من البحث في هذا الموضوع في، كيفية جعل مالك بن نبي التربية كأداة أو وسيلة فعالة للتجديد والنهوض الحضاري وتبيين وتوضيح الأهمية من المشروع الحضاري لدى مالك بن نبي، وما علاقته الوطيدة التي قد تجمعه وتربطه بالتربية.

و من بين أهم الدوافع والأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع على غيره من المواضيع الأخرى:

أولا: العامل الذاتي: ويتمثل في ما يلي:

– ميلي الكبير للفكر العربي وخاصة فكر مالك بن نبي، وعند إطلاعي على فكره وجدت أن فكره أحاط بجميع جوانب الحياة العملية والعلمية، والفنية، النفسية، والأخلاقية، الإجتماعية الثقافية....إلخ، بمعنى يلامس الواقع المعاش كثيرا، وهذا ما زاد إلهامي وإقبالي على إختيار موضوع من فكر مالك بن نبي ومناقشته ودراسته وتحليله.

ثانيا: العامل الموضوعي: ويتمثل في:

– الرغبة في تحليل فكر مالك بن نبي، والتعرف على حياته تفصيلا وتفضيلا، و جعل الأجيال الصاعدة تتعرف وتطلع أكثر على فكر مالك بن نبي، وفهم وتأمل جميع أفكاره الناضجة والإستفادة من آرائه، وأخذ العبرة منه، والإعتماد على أفكاره في بناء تاريخ المجتمع، والإستفادة من الحلول والأراء التي وضعها من أجل التخلص من العراقيل التي تكبح طريق النهوض والتجديد والسمو بالحضارة، والتعلم من المفكر مالك بن نبي كيفية التحدي ومعالم الصبر في الوصول إلى الهدف المنشود مهما كانت الظروف والصعاب وتحقيق الغاية المراد الوصول إليها، حيث أنه لم يعجز مهما واجهته ظروف الزمان ولا المكان في السمو بالحضارة العربية الإسلامية، ونشر الفكر العربي الإسلامي، وتحقيق فكرة النهضة والحداثة الحضارية.

وبما أن مالك بن نبي من بين المفكرين المعاصرين الذين كرسوا فكرهم لدراسة الواقع المعيشي ودراسة تاريخ المجتمع والحرص من أهم المشكلات والأزمات التي قد تواجه حضارته ونهضته ولهذا نجده قد وضع أفضل الحلول التي يراها كفيلة بتخليص المجتمع وأفراده من هذه المشاكل والأزمات والمعوقات والأمراض التي تجعل المجتمع يتراجع عن النمو والتطور والتقدم، وقد كانت التربية لها علاقة ودور في دراسة وتحقيق النهوض الحضاري وعملية التغيير الإجتماعي وتجديده.

إذا يمكننا أن نقول بأن هذه الإشكالية تعد محورية وأساسية في فكر مالك بن نبي، بإعتبار أنه إنشغل بمسألة الحضارة وأهم المشكلات التي قد تواجهها في جل مؤلفاته، وعليها أسس

مشروعه الحضاري النهضوي، لذا نجده قد جعل من التربية كأداة ووسيلة لعملية التغيير الإجتماعي وماله من علاقة بذلك، وبما أن الفرد هو الذي تقوم عليه التربية وهو أساس التغيير الإجتماعي، ولهذا نجده قد جعل من المبدأ القرآني نقطة إنطلاقه: « إِنَّ اَللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِم» الرعد الآية 11 .

فالتغيير إذا يستهدف ذات الإنسانية قبل كل شيء، وعليه يمكننا أن ندرك مهمة التربية هنا ودورها الفعال والمحوري في عملية التجديد والتغيير الإجتماعي، والذي ينتهي في الأخير ببناء تاريخ ومجتمع أفض وتحقيقتقدم حضاري أجود.

– وهنا يمكننا طرح الإشكالية التالية: **كيف ربط مالك بن نبي التربية بالحضارة ؟**

ويتفرع هذا السؤال إلى عدة تساؤلات فرعية وهي كالتالي:

ما مفهوم التربية ؟ وما هو مفهوم الحضارة ؟ وما هي طبيعة العلاقة التي قد تجمع كلا من التربية والحضارة لتحقيق النهوض الحضاري عند مالك بن نبي ؟

– وعند دراسة هذا الموضوع إعتمدنا على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، فالمنهج الوصفي كان إعتمادي عليه في وصف مختلف الأفكار والمفاهيم التي تناولها مالك بن نبي، وبشكل تحليلي رغبة في تقديم وتوضيح جل الأفكار والمفاهيم الموصوفة وتيسيرها وتسهيلها.

– ومن بين الأهداف التي تم تحقيقها والوصول إليها من خلال هذا البحث أهمها:

– توضيح رؤية مخالفة من خلال المشروع التربوي وعلاقته بالحضارة عند مالك بن نبي وتبيين الدور الذي قد تساهم فيه التربية في تحقيق النجاح والتقدم الحضاري في المجتمع الجزائري خاصة والمجتمعات العربية الإسلامية عامة.

– دراسة العلاقة التي قد تربط التربية بالحضارة، رغبة في تحيق نهضة حضارية جديدة وتحقيق زاد معرفي ذاتي جديد.

– التعرف على كيف جعل مالك بن نبي من الفكرة الدينية عامل ومحور وركيزة كبيرة في النهوض الحضاري.

– تحقيق صلات إجتماعية وتشكيل شبكة علاقات إجتماعية في ظل وجود الدين، بإعتباره العامل الذي يربط بين أفراد المجتمع.

– دراسة أهم الأبعاد والأهداف التي جعل منها مالك بن نبي إنطلاقات لتحقيق مشروعه التربوي.

– التعرف على أهم التوجيهات والحلول التي وضعها مالك بن نبي، رغبة في تحقيق نهضة وحداثة الإنسان والسمو به نحو عالم أفضل.

– التعرف على أولويات التربية والدور التي قد تساهم فيه في تحقيق الإشراق الحضاري.

– توضيح أهم الإستراتيجيات التي إعتبرها مالك بن نبي مخرجا للخروج بالحضارة نحو عالم التقدم والحداثة.

– معرفة الإنتشار الواسع لفكر مالك بن نبي وكيف إستفادت بعض الدول العربية و الغربية من فكره، وكيف إستطاعت أن تحقق هذه الدول نهضتها وحداثتها، إنطلاقا من أفكار مالك بن نبي التربوية والحضارية.

إن جهود مالك بن نبي لا تعد ولا تحصى وقد ساهمت هذه الجهود والأفكار والمفاهيم التي جاء بها في زيادة الرصيد المعرفي والثقافي العربي وتنمية الزاد المعرفي، ومن بين الباحثين والدارسين الذين قد أحيوا فكر مالك بن نبي بالبحث والتحليل منهم.

– الفكر التربوي عند مالك بن نبي: لـ " العابد الميهوب".

– مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي لـ " الدكتور محمد العبده".

– أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي لـ "السيد ولد أباه".

أما بالنسبة للصعوبات والعوائق التي قد واجهتني و إعترضت طريقي خلال هذا البحث:

– مشكلة الوباء الذي جعلني مقيدة الأيدي على زيارة العديد من المكاتب والإطلاع على مزيد من المصادر و المراجع، ورغم ذلك إلا أنني قمت بإتمامي عملي بكل جهد ومثابرة متكلة على المولى سبحانه وتعالى راغبة أن ييسر لي في هذا العمل ويبارك لي فيه.

– ولكي أستطيع تشكيل الأطروحة وتحقيق نجاح في ترتيب الأفكار قمت بتقسيم هذا البحث المتواضع إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

– الفصل الأول جاء بعنوان: " **مقاربة مفاهيمية لفكر مالك بن نبي**" ويندرج تحته عناصر: الأول مصادر فكره وأهم العوامل التي أثرت فيه وفي ظهور فكره بما فيه العامل الإصلاحي "عبد الحميد بن باديس"، العامل الغربي " توينبي"، أما العنصر الثاني تطرقت فيه إلى حياة مالك بن نبي وسيرته ومولده ونشأته، بما فيه حياته العلمية – مؤلفاته ووفاته، أما المبحث الثاني فقد كان عنوانه مضامين فكر مالك بن نبي وإعتمدت فيه على عنصرين: العنصر الأول: الحضارة– التاريخ و العنصر الثاني: التربية– الثقافة.

– أما الفصل الثاني قد جاء بعنوان " **المشكلة التربوية عند مالك بن نبي**" وأدرجت تحت هذا الفصل مبحثين: المبحث الأول عنوانه: مفهوم التربية (أهدافها وخصائصها) وهذا المبحث ينطوي تحته العنصر الأول: عرفت فيه التربية لغة وإصطلاحا، و العنصر الثاني عنونته بـ: التطور التاريخي للتربية عبر العصور، وقمت بوضع أهداف وخصائص التربية بشكل عام، أما المبحث الثاني عنوانه: مفهوم التربية عند مالك بن نبي ويندرج تحته العنصر الأول: تعريف التربية عند مالك بن نبي، والعنصر الثاني عنوانه: أبعاد التربية عند مالك بن نبي، و العنصر الثالث أهداف التربية عند مالك بن نبي.

– أما الفصل الثالث عنونته بـ: " **مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي**" و أدرجت تحته مبحثين: المبحث الأول: عنوانه مفهوم الحضارة (خصائص ومميزات) ويندرج تحته العنصر الأول: تعريف الحضارة لغة وإصطلاحا، والعنصر الثاني عنوانه: التطور التاريخي للحضارة و العنصر الثالث عنوانه: خصائص ومميزات التربية بشكل عام، أما المبحث

الثاني عنونته بـ: الفكر الحضاري عند مالك بن نبي ويندرج تحته العنصر الأول: تعريف الحضارة، والعنصر الثاني: شروط الحضارة، والعنصر الثالث: مراحل الحضارة.

– الفصل الرابع وكان بعنوان: "**العلاقة بين التربية والحضارة عند مالك بن نبي**" والذي يندرج وينطوي تحته مبحث عنونته بـ: نظريا ويندرج تحته العنصر الأول: الإستراتيجية التربوية للتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي، والعنصر الثاني: عنونته بأولويات التربية من أجل التغيير الإجتماعي في مجتمع ما بعد الحضارة، والعنصر الثالث عنونته بـ: عوامل التغيير الإجتماعي(الأبعاد التربوية للتغيير الإجتماعي)، والمبحث الثاني عنونته بـ: عمليا: ويندرج تحته العنصر الأول: تأثير فكر مالك بن نبي في العالم العربي ماليزيا "نموذجا" ويندرج تحته العنصر الثاني: الأهداف والأولويات والإهتمامات التربوية " لدى ماليزيا".

– وعند إنجازي لهذا البحث إستعنت بمجموعة من المصادر للمفكر "مالك بن نبي" وكان أهمها: القضايا الكبرى، شروط النهضة، ميلاد مجتمع، وجهة العالم الإسلامي ...إلخ.

الفصل الأول:

مقاربة مفاهيمية لفكر مالك بن نبي

تمهيد

المبحث الأول: مصادر فكره

1- الحركة الإصلاحية مع عبد الحميد بن باديس

2- أرلوند تيونبي

المبحث الثاني: حياته وسيرته

1- مولده و نشأته

2- أثاره (مؤلفاته) وفاته

المبحث الثالث: مضامين فكر مالك بن نبي

1- الحضارة والتاريخ

2- التربية و الثقافة

خلاصة

تمهيد:

يعتبر مالك بن نبي من الشخصيات البارز وجودها والتي كان لها دور كبير في وسط المجتمع الجزائري والعالم العربي الإسلامي.

يعد مالك بن نبي ثروة ثقافية لا غنى عنها، فهو كان مصدر إلهام بعض الدول والشعوب وذلك أن منطلقاته وبداياته تلامس الواقع المعيشي بكثير، وبداياته الفكرية كانت تنبع من منبع موثوق هو الدين الإسلامي " الفكرة الدينية"، أي أن أفكاره كانت ذات طابع ديني ورؤية دينية، ونجد مالك بن نبي قد تميز عن غيره من المفكرين العرب بمشروعه الحضاري، فمالك بن نبي قد عاش مراحل في حياته عانى فيها ويلات الفقر والدمار، الإستعمار، ومن بين مرحلة من مراحل حياته إجتمع بالعديد من العلماء والمفكرين أثناء فترة الإستعمار وهذه الشخصيات قد ساهمت في بناء وزيادة رصيده المعرفي سواء كانت هذه الشخصيات عربية أو غربية، حيث كان كثير الإحتكاك بعلماء العرب والغرب، أي أن العامل العربي والغربي كان له أثر بالغ في تكوين فكر مالك بن نبي، حيث ساعده ذلك في التوسع في كتاب وتأليف عدة مؤلفات تعالج مواضيع متعددة ومتنوعة تلامس الواقع الحياتي، لكن تحت عنوان رئيسي " مشكلات الحضارة" وضم فكره مضامين متعددة، وقي هذا الفصل سوف نحاول التعرف على أهم المشكلات أو العوامل التي أثرت في فكره وتكوين شخصيته والتعرف على أهم المحطات والمراحل التي عاشها ومر بها مالك بن نبي في سيرة حياته، وأهم الأعمال والأثار والمخلفات الفكرية له، ومحاولة التعرف على القضايا والمشكلات والمضامين الفكرية له.

المبحث الأول: مصادر فكره

إن أي فيلسوف أو مفكر عند بداية نشاطه أو عمله الفكري لا بد من الإستناد أو الرجوع إلى خلفيات سابقة، أي أنه لا ينطلق من فراغ بل يعتمد على خلفية فكرية، سواء كانت ثقافية أو سياسية أو إجتماعية، وهذا ما يقودنا بدوره إلى التعرف أكثر والإطلاع على شخصية مالك بن نبي والتعرف على أهم الشخصيات أو الجوانب التي كانت دافعا في تكوينه الفكري والإرتقاء به إلى مكانة عالية في العلم والمعرفة.

ويمكن حصر هذه العوامل في جانبين ألا وهما العامل الإصلاحي والعامل الغربي:

1/ الحركة الإصلاحية مع إبن باديس:

يعتبر" **إبن باديس**"* رائد من رواد النهضة الجزائرية حيث كان له دور في الفعل النهضوي الإصلاحي في الجزائر بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، وقد كان له أثر بالغ في تكوين شخصية مالك بن نبي وقد تأثر مالك بن نبي بالعلامة "عبد الحميد بن باديس" وزعيم الحركة الإصلاحية في مجالات عديدة، فقد تأثر به خاصة في مجال التربية والتعليم، حيث أنه دعا إلى النهضة وضرورة إصلاح العمل التربوي والتعليمي بغية إنشاء أفراد مثقفين للنهوض بالتجديد والتخلص من الجهل وأشكال الإنحطاط ومحاربة الجمود الفكري والأوضاع المزرية، وبهذا المنهج يمكن ترقية المسلم الجزائري في حدود إسلامية التي هي حدود الكمال الإنساني وحدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في خلق العمران البشري في حدود عربية التي تمنحه مع الجزائرية والإسلامية الشخصية التاريخية والثقافية المميزة.[1]

***عبد الحميد بن باديس:** ولد في 04 ديسمبر 1889م وتوفي في 16أفريل 1940م، من رواد النهضة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ومن أهم رجال الإصلاح، من أهم مؤلفاته وأعماله، العقائد الإسلامية من الايات القرانية والأحاديث النبوية. (ويكبيديا).

[1]– جيلالي بو بكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، 2010، باب الواد، الجزائر، ص 29.

وكما نجد مالك بن نبي بأفكار جمعية العلماء المسلمين بزعامة عبد الحميد بن باديس الداعية للنهضة والإصلاح والذي كان شعارهم في ذلك « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[1]، فقد كان الإسلام هو المنبع الصافي للتعلم والتثقيف أو المرجعية الإنسانية التي من خلاله يمكن التمييز بين الحسن والقبيح والحق والباطل.

كان مالك بن نبي متأثر بالجانب التربوي " لإبن باديس"، وقد جعل من التربية تتيح لنا أفراد قادرين على الإبداع والإنجاز في جميع مجالات الحياة فينتشر في المجتمع مايسمى بالإصلاح سواء كان في النفوس أو الأعمال أو العقائد والمبادئ الأخلاقية "على أن يتجه الإصلاح إلى إصلاح العقائد أو إصلاح الأخلاق ثانيا لتقويم النفس وبناء الفضائل، إذ أن الباطن أساس الظاهر وأن منطلق النهضة هو الإسلام الذاتي الذي يقوم على الفكر والنظر والإدراك المميز بين الحسن والقبح والحق والباطل وأن الطريق إلى الإسلام الذاتي هو التعليم تعليم الأفراد والجماعات، البنين والبنات والرجال والنساء"[2]

كان مالك بن نبي يكن كل فائق الحب والتقدير "لإبن باديس" حيث كان يقول في بعض هذه السطور كل عبارات الإعجاب:« لقد بدأت معجزة البحث تتدفق من كلمات إبن باديس فكانت تلك ساحة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المحذر يتحرك ويالها من يقظة جميلة مباركة.... فتحولت المفاجأة إلى خطب ومعاناة وهكذا إستيقظ المعنى الجماعي، وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب »[3]

وعلى غرار عبد الحميد بن باديس نجده تأثر بالعديد من المعلمين الجزائريين والذين ساهموا في تثقيفه ثقافة عربية إسلامية، نذكر على رأسهم المعلم أو الشيخ " عبد المجيد" كان يعطيه دروس في النحو حيث قالمالك بن نبي:« تلقيت مع الشيخ عبد المجيد أسس الثقافة العربية

[1]– مالك بن نبي، **شروط النهضة**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992، الجزائر، ص 31.

[2]– جيلالي بوبكر، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[3]– مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دس، دب، ص 19.

لقد تعلمت تصاريف الأفعال والتمييز بينهما وحفظت شيئا من الشعر ». وكما نجد نجده متأثر بالشيخ " مولود ميهوب" أستاذ التوحيد و سيرة النبي.[1]

ونجده كذلك جد متأثر بكتاب الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق " لأحمد رضا" ورسالة التوحيد لـ " محمد عبده":« أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول الفكري، منذ تلك الفترة كانت هذه الكتب تصحح مزاجي وحالت دون إنحرافي في الرومنطقية لقد أصبت هكذا عددا لا بأس به من المؤثرات الموجهة والمعد لها أو المحركة ».[2]

ولقد كان مالك بن نبي شغوف بالمطالعة والقراءة، فكان يطلع على كتابات إليا أبو ماضي وطالع "أم القرى للكواكبي" وكما أعجب " بالبيان العربي للمنفلوطي" وذلك في كتاب له " النظرات والعبارات"، وكما كان يطلع العديد من الصحف والجرائد مثل جريدة الشهاب والنجاح، والإقدام....إلخ

- أثر الأسرة والبيئة:

كان مالك بن نبي متأثر كثيرا بالجو الأسري والعائلي، وقد كانت حكايات جدته قد حركت أثر كبير في نفسيته وعملت على تكوين شخصيته، حيث كانت تحدثه على العمل الصالح «سمعت الكثير من أقاصيصها وحكاياتها التي كان محورها العمل الصالح مايليه من ثواب وعمل صالح زما يتبعه من عقاب، وكانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري قيمتها، عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي »[3]

وجده الدذي غرس فيه الحقد والكره إتجاه المستعمر الفرنسي وتمسكه بحبه لوطنه وأمه التي كانت تبيع كل ماتملك من أجل دفع المال للمعلم الذي كان يحفظه دروس في القرآن الكريم

---

[1]- مالك بن نبي، **مذكرات شاهدة للقرن**، دار الفكر، ط2، دس، دمشق، سورية، ص 51.

[2]- العابد الميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الإجتماع تحت إشراف: نور الدين زمام، قسم العلوم الإجتماعية، 2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 48.

[3]- محمد العبده، **مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي**، دار القلم، ط1، 2006، دمشق، سورية ص 23.

ولا أزال أذكر كيف أنها إضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القران الذي كان يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص »[1]

2/ أرلوند توينبي:

لقد لعب هذا الأخير دور فعال وساهم مساهمة جدا فعالة في تكوين والتأثير على الجانب الفكري والشخصي لمالك بن نبي، ويعود ذلك إلى المحيط الدراسي وإحتكاكه ومعاشرته للمجتمع والمحيط الفرنسي.

نجد مالك بن نبي قد أثر فيه العامل الغربي سواء كان معلمين أو مفكرين ومن بينهم المؤرخين الذين كان مالك بن نبي متأثر بهم نذكلر من بينهم المؤرخ الإنجليزي " أرنولد تونبي".

لقد تأثر مالك بن نبي بالمؤرخ " أرنولد توينبي"، حيث كان له أثر في فكر مالك بن نبي وخاصة في نظرته للحضارة حيث نجده قد إقتبس أو إستمد منه أهم فكرة ألا وهي فكرة " التحدي" في بناء وإنشاء الحضارة وقيامها، لكن كان وفق منهج مغاير ومخالف حيث قال مالك بن نبي:« ونحن يمكننا إلى حد ما أن نصوغ هذا الرأي الذي ذهب إليه المؤرخ توينبي صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم »[2]

وهذا ما نجده قد وضحه في كتابه "ميلاد المجتمع" حيث قال:« والواق أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما الوعد والوعيد زمعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجيب على تحدٍّ روحي في أساسه »[3]

---

[1]– مالك بن نبي، مذكرات شاهدة للقرن، مصدر سبق ذكره، ص 19.

[2]– الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، دار الخليل العلمية، ط خاصة، 2013، الجزائر ص 81.

[3]– مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1968، دمشق، سورية ص 24.

ومن بين الأساتذة الفرنسيون الذين كان مالك بن نبي متأثر بهم ومن جوانب متعددة نذكر أهم جانبين في ذلك ألا وهما المنهجي والعملي حيث قال في ذلك:« ضمن جهة كان أساتذتنا الفرنسيون يصبون في نفوسنا محتوى دينارتيا، يبدد ذلك الضباب الذي نمت فيه العقلية الميثولوجية التي تتعاطف مع الخرافات التي في الجزائر »[1]

إنتقل مالك بن نبي إلى فرنسا لمواصلة الدراسة هناك إلا أنه لم يتلقى إستقبال جيد، حيث وجد معاناة كبيرة من حيث السكن، ورغم ذلك إلا أنه لم يكون ذلك عائقا له بل كانت غايته في إكتشاف الوجوه الحقيقية لباريس.

إكتشف مالك بن نبي " معهد الدراسات الشرقية" وسجل إسمه لكي يتمكن من دخول الإمتحان.[2]

وفي جولة أخرى تعرف على " وحدة الشبان المسيحية"[3]، وأصبح مالك بن نبي عضو في هذه الوحدة المسيحية، وأثناء تواجده في فرنسا للدراسة إلتحق بمدرسة اللاسلكي ودرس الرياضيات في هذه المدرسة، لكنه لم يتحصل على شهادة في تلك المدرسة ذلك لأسباب أو ظروف إستعمارية، ثم إلتحق بعد ذلك بمعهد لمتحف الفنون والصناعات لدراسة الكيمياء التطبيقية.

تزوج مالك بن نبي من إمرأة فرنسية مسيحية سنة 1931م، أسلمت وسمت نفسها خديجة[4] فكان زواجه من خديجة يعد عاملا من العوامل في تطوير وتنمية الحس النفسي والروحي لديه.

---

[1]– مالك بن نبي، مذكرات شاهدة للقرن، مصدر سبق ذكره، ص 65.

[2]– عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره**، شبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012 بيروت، لبنان، ص 91.

[3]– عبد الله بن حمد العويسي، المرجع نفسه، ص 92.

[4]– مولود عويمر، مرجع سبق ذكره، ص 14.

كان مالك بن نبي محبا للفكر الغربي مما أدى به إى الإطلاع على أهم الكتب والمؤلفات الغربية ومما أدى ذلك إل إتقانه للغة الفرنسية.

المبحث الثاني: حياته وسيرته

1/ مولده ونشأته

مالك بن الحاج عمار بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في مدينة قسنطينة إحدى المدن الجزائرية سنة 1905م[1]، ينتمي مالك بن نبي إلى عائلة تعاني من ويلات الفقر والجوع، حيث كانت أمه تعمل في مجال الخياطة لكي تسد حاجات إبنها وعائلتها وتساعد زوجها الذي كان يعمل في الإدارة الفرنسي، واصل مالك بن نبي دراسته في مرحلة الإبتدائية في مدينة تبسة وتعلم فيها جزءا من القرآن الكريم، كانت في هذه المرحلة نتائج الإستعمار جلية وواضحة في إنعكاساتها على الشعب الجزائري وعم الفقر والدمار، وكانت عائلة مالك بن نبي من ضحايا الإستعمار، فأبوه كان عاطلا عن العمل وجده لأبيه باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ لطرابلس العرب[2]، أي أنه رغم المعاناة والآلام إلا أنها كانت عائلة مالك بن نبي تعيش برامتها وكانت رافضة تعيش تحت سيطرة الإستعمار في ذل وهذا ما أدى بمالك بن نبي أن يسافر إلى تبسة ومكث هناك.

وفي هذه المرحلة بدأت رحلة مالك بن نبي وتوجهه نحو الدراسة، حيث درس مالك بن نبي بالكتاب لمدة دامت أربع سنوان، وكان يتعلم دراسة الكتاب في بعض الوقت الذيس كان يتعلم فيه ويتلقى فيه تعليمه بالمدرسة القرانية، حيث أنه إنشغل بكيفية وطرق التعليم والتربية، وهذا ماجعله يبتعد عن حفظ القرآن الكريم حيث أنه لم يتعلم إلا جزءا صغيرا منه، أكمل مالك بن نبي دراسته حتى تحصل على شهادة الإبتدائية ثم واصل تعليمه الإعدادي، وبعدها سافر وإنتقل إلى قسنطينة لمواصلة دراسته، وفي هذه المرحلة بزوغ نوع من النمو المعرفي والديني

[1]– عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سبق ذكره، ص 51.

[2]– محمد العبده، مرجع سبق ذكره، ص 22.

لمالك بن نبي، بدأت مداركه تتسع شيئا فشيئا، أصبح يتقن اللغة العربية وقد قرأ أم القرى للكواكبي، رسالة التوحيد لمحمد عبده ...إلخ، وإطلع على الأدب الفرنسي والصحافة الفرنسية وفي هذه المرحلة تعرف مالك بن نبي على بعض تلاميذ الشيخ بن باديس، المصلح ورائد وصاحب الحركة الإصلاحية حيث قال مالك بن نبي:« تعرفت على بعض تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس شعرت بأني وهؤلاء في إتجاه فكري واحد »[1]

أكمل مالك بن نبي نشاطه في فرنسا إذ ألتحق بمعهد يسمى الدراسات الشرقية، لكن مع سوء حظه لم يقبل فيه لكن لم ييأس وسجل في مدرسة المهندسين، وفي هذه الفترة تم إنظمام مالك بن نبي إلى جمعية فرنسية لدى " الوحدة المسيحية للشبان البارسيين"[2]

وفي سنة 1938م تم تقرير (بتأسيس المؤتمر الإسلامي) حيث تلقى مالك بن نبي دعوة كان مضمونها أن يتولى رئاسة هذه الجمعية، وقد كانت غاية وهدف هذه الجمعية نشر الثقافة الإسلامية والتخلص من أشكال الجهل والتخلف ومحو الأمية في وسط صفوف العمال الجزائريين، وعند بداية تطور عمل هذه الجمعية تم إيقافها وإيقاف كل نشاطاتها من طرف الساسة الإستعمارية.

بقي مالك بن نبي مشتتا بين أرض وطنه والأراضي الفرنسيو، قصد توقف عمل ونشاط الجمعية، لم يجد مالك بن نبي عمل في وطنه وذلك بسبب الأوضاع المزرية التي كانت تشهدها وتعيشها الجزائر في تلك الفترة من طرف السياسة الإستعمارية الفرنسية، حيث عاد

[1]– محمد العبده، المرجع نفسه، ص 28.

[2]– مولود عويمر، مرجع سبق ذكره، ص 14.

إلى فرنسا سنة 1939م وغادر الجزائر وهو يردد« يا أرضا عقوقا ! ... تطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع، إنني أعود إليك إن لم تصبحي حرة! » [1]، أي أنه كان مقهورا من وضع بلاده وتمتع الفرنسيين بثرواتها، وخيراتها وأبناء الوطن يعانون من قساوة الفقر والجوع. وفي هذه المرحلة وعند بقائه هناك في باريس بدأ في التأليف والكتابة.

2/ آثاره (مؤلفاته) ووفاته

أ/ آثاره(مؤلفاته):

يعتبر مالك بن نبي من بين المفكرين الذين سعوا بكل جهودهم لدراسة الواقع المعيشي والحلة التي آلت إليها بلاده، حيث أنه كرس كل مجهوداته الفكرية والتي جاءت تحت عنوان مشكلات الحضارة، حيث نجده أثناء قراءة جل مؤلفاته قام بدراسة تحليلية لكل العوائق والحواجز التي تعد عائقا أو حاجزا أمام مجتمعه بصفة خاصة والمجتمع الغربي بصفة عامة ونجده قد سعى إلى محاربة كل أشكال التخلف والإنحطاط وهدفه بذلك السعي من أجل التطور والرقي والتجديد والنهوض بالبناء والإنجاز الحضاري، وكانت أهم مؤلفاته التي عمل على كتابتها ما يقارب 26 مؤلفا بعنوان رئيسي " مشكلات الحضارة" وتدرس وتعالج أهم مشكلات والقضايا العالمية وأخرى تعالج قضايا عربية إسلامية، وسوف نقوم بإبراز مختلف الأعمال والإنجازات لمالك بن نبي:

- ذات الأبعاد العالمية:

- ✓ **شروط النهضة:(les conditionsde la ronaissance)**، يعد هذا الكتاب ثاني إنجاز قام به مالك بن نبي في عام 1949م تحت عنوان شروط النهضة، وجاء إنجاز وتأليف هذا الكتاب مباشرة بعد الظاهرة القرآنية، ثم ترجم هذا الكتاب إإلى مختلف اللغات العالمية، تم نشره

[1]- مولود عويمر، المرجع نفسه، ص 17.

لأول مرة بترجمة فرنسية وبعد ذلك تم ترجمته للمرة الثانية بالعربية من طرف عمر مقساوي وعبد الصبور شاهين إلى اللغة العربية[1].

ينقسم هذا الكتاب إلى بابين، الباب الأول تم تسميته بـ: " الحاضر والتاريخ" والباب الثاني إسمه "المستقبل" ويتفتح كل باب من هذه الأبواب بأنشودة رمزية وفي الباب الأول يرى دور الشعوب العربية الإسلامية أمام الزحف الإستعماري خلال القرن الماضي من الربع الأول من هذا القرن وكان دورا بطوليا فقط[2]، وهذه غاية كل شعب من الشعوب وهو تحرير حضارته الخاصة ولا يبدو ذلك إلا من خلال فهم العوامل أو الركائز الأساسية التي تقوم عليها كل الحضارات وتحريرها في الأن نفسه من التدهور والإنحطاط والإستبداد والإستعمار وويلاته لا يكون بتلك الطريقة وإستخدام وسائل القوة، وحسب مالك بن نبي يجب أن لا ننسى أهم ركيزة أو عامل وهو " قابلية الإستعمار".

ومن خلال المجهودات التي ساهم بها مالك بن نبي ومنطقيته المتمثلة في ذلك إلا أنه يجدر بنا إعطاء لمحة على أسماء أبطال وأمجاد الثورة الجزائرية الذين ساهموا كذلك في إيقاظ الضمير التتبعي وتنمية الوعي الذين كانوا راقضين غير متقبلين العيش تحت سيطرة وإهانة المستعمر رافضين الذل ومن بين هؤلاء نذكر: بوعمامة، الأمير عبد القادر ...إلخ وغيرها من المقاومات الشعبية.

وتعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حركة إصلاحية بزعامة العلامة عبد الحميد بن باديس، ساهمت هذه الحركة في نشر الأفكار والمبادئ الأخلاقية والوعي الشعبي، غايتها تحقيق النهضة والإصلاح حيث كان المبدأ الذي تقوم عليه هذه الجمعية قوله سبحانه وتعالى:« إِنَّ اَللهَ لَا يُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (الرعد 11).

---

[1]– لويزة العمري، **نظرية الثقافة عند مالك بن نبي دراسة تحليلية نقدية**، رسالة لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف: خالد عيقون، قسم اللغة العربية والأدب العربي، 2014، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 20.

[2]– لويزة العمري، المرجع نفسه، ص 20.

وفي هذا الكتاب إنتقل مالك بن نبي إلى الباب الثاني " المستقبل" وقد قدم فيه المعادلة الحضارية ومفهوم الحضارة في تصوره.

حضارة = إنسان + تراب + زمن

فالعامل الذي يجده مالك بن نبي يربط بين أطراف المعادلة هو الدين والذي يكون هذا الأخير وثيق الصلة بالحضارة، وقد وضع مالك بن نبي ثلاثة مراحل تمر بهما الفكرة الدينية أثناء قيامها بدورها في تكوين أية حضارة وأهم مراحلها هي:

أولا: مرحلة الروح (الميلاد): في هذه المرحلة نجد الإنسان يعيش في هذه الحياة وفق مبادئ فطرية وغريزية بعيدا عن كل أوامر دينية أو عقيدية كانت، وهذه العقيدة الدينية تساهم في ضبط غرائزه وتقوم الفكرة الدينية عند مالك بن نبي على " العملية الشرطية" وهذه العملية الأخيرة تعمل وتساهم في ضبط تلك العلاقة لوظيفية التي تتشكل بين غرائز العقيدة الدينية.

ثانيا: مرحلة العقل (الأوج): في هذه المرحلة يكون هناك إنتشار وتطور الفكرة الدينية في وسط المجتمع حتى تقوى وتكتمل العلاقات الداخلية بين أفراد المجتمع، فالحضارة وقيامها في رأي ونظر مالك بن نبي نكون في صورة وحي ينزل من السماء[1]

فالحضارة عند مالك بن نبي لا تبنى ولا تؤسس إلا أثناء إستخدام العقل، لكن يصاب هذا الإمتداد والنمو الواسع للعقل ظهور مظاهر الترف وكل مايفسد ويجعل الحضارة تتدهور وتنحل.

ثالثا: مرحلة الغريزة (الأفول):

في هذه المرحلة يكون فيها تفتح العقل وبالتالي إنحلال الغرائز، وهذا مايؤدي إلى تدهور الحضارة وإنحطاطها وبالتالي سقوطها، حيث أن العقل وكل ما أو بكل ما أوتيحت له من قوة لم يستطيع التحكم في تلك الغرائز، وبالتالي ينعكس سلبا على المجتمع ويعم الفساد و الغوص داخله.

[1] – لويزة العمري، المرجع نفسه ص 22.

- ✓ **مشكلة الثقافة: (la probléme de la culture)** تم إصداره سنة 1959م من قبل عبد الصبور شاهين، حيث تناول هذا الكتاب التحليل النفسي للثقافة، وقد تناول كذلك دور الثقافة والدور الفعال الذي تساهم فيه في تكوين وتنمية المجتمع والرقي بالفكر العربي والإسلامي حيث قال الدكتور عمر مقساوي:« لذا شعر أستاذنا مالك بن نبي إلى أمس الحاجة إلى جمع أفكاره حول الثقافة وغرسها من جديد في صورة تحليلية تحفز الفكر العربي والإسلامي وتحركه بإتجاه إكتشاف الحقائق والمصطلحات بوسائله الخاصة وفق المعطيات النابعة من تجربته »[1].
- ✓ **التأملات (réflexion):**

تم إصداره عام 1961م عدد صفحاته 246 صفحة تأمل مالك بن نبي في هذا الكتاب بعض المشكلات التي قد تعرقل حركة النمو أو النهضة في المجتمعات، ومحاولة نبذ هذه المشكلات وحوادثها بغية بناء وتكوين حضارة ومجتمع متحضر.

- ✓ **الفكرة الإفرو الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ: (Lideé afréc- asiatique):**

تم إصداره في القاهرة سنة 1956م ترجم هذا الكتاب على يد عبد الصبور شاهين، أصدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية بمناسبة إنعقاد مؤتمر باندونغ وتم ترجمته إلى اللغة العربية بعد ذلك وتناول مالك بن نبي في هذا المؤلف إيقاظ الضمير الإنساني وتحرير المجتمع الأفروآسيوي من ويلات المستعمر والخروج به إلى عالم المبادئ والقيم الإنسانية، وعليه فقد قال مالك بن نبي في في هذا الصدد:« إن المؤتمر الأفرسيوي قد إفتتح أعماله بالنسبة إلى العالم (الكبار) (بلحظة الحقيقة) وبالساعة التي وجب أن يدفع فيها عن نفسه وكان عالم الكبار قد وجهت إليه دعوة ليبدي رأيه بصراحة في موضوعات المؤتمر الأساسية في إطار إنساني وليس فقط في الإطار الغربي.[2]

---

[1]- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، دار المعاصر، 1984، دمشق، سورية، ص8.

[2]- مالك بن نبي، **فكرة الإفريقية الأسيوية**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992، الجزائر ص 24.

- ✓ **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: (La lutte idéologique dans les pays colonises):** تم إصداره عام 1960م[1]، وهو يعتبر ويعد أول كتاب كتبه مالك بن نبي باللغة العربية مباشرة، قام في هذا الكتاب والذي تضمن فيه أساليب الإستعمار التي ينوي من خلال هذه الأساليب والتي تعد خفية القضاء على النهوض الفكري.
- ✓ **في مهب المعركة: (dans le souffle de la bataille)**

تم إصداره في عام 1961م[2] في القاهرة عبارة عن مقالات تعالج هذه المقالات وتتكلم على الوضع الجزائري ودوافع الثورة الجزائرية وتلمس شخصية العالم الثالث الذي يعاني من حالة التخلف والإنحطاط ويبعد كل البعد عن التحضر، وعدد صفحاته 125 صفحة.

- ✓ **ميلاد المجتمع:(nainceدume société):**

كتب باللغة العربية لكنه تم ترجمته من قبل الدكتور شاهين عبد الصبور وصدر عام 1962م يتكلم عن شبكة العلاقات الإجتماعية.

- ✓ **القضايا الكبرى:(Les grands thémes):**

تم إصداره باللغة الفرنسية لأول مرة وقد إحتوى خمس فصول.

- ✓ **من أجل التغيير: (pour changer L' algerié)**

صدر عام 1989م عبارة عن مجموعة من المقالات كتبها مالك بن نبي باللغة الفرنسية، وبعد وفاته جمعت في كتاب من أجل تغيير الجزائر، تكلم عن عدد من الجوانب الإقتصاد الإجتماع.

- ✓ **بين الرشاد والتيه: (entre la rectitude et l'egarement):**

كتب باللغة الفرنسية صدر سنة 1978م، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات كتبها مالك بن نبي بالفرنسية، ويتناول هذا الكتاب مشكلات العالم الثالث بعد الإستقلال السياسي والحلول

[1]– سعد الله بن حمد العويسي، مرجع سبق ذكره، ص 136.

[2]– لويزة لعميري، مرجع سبق ذكره، ص 18.

للتخلص والقضاء على هذه المشكلات، وفي الستينات الوقوف على مهام التجديد والبناء للدولة.[1]

مؤلفاته التي تعالج أبعاد عربية وإسلامية:

إذا إتجهنا صوب المؤلفات لوجدنا أنها تعالج مواضيع متعددة متعلقة بمشكلات الحضارة، إلا أنه في هذا البعد ركز بصفة خاصة على القضايا وأهم المشكلات المتعلقة بوطنه وأهمها:

1/ الظاهرة القرآنية: (le phénoméne coranique)

تم إصدار هذا الكتاب بالفرنسية في عام 1946م من قبل الدكتور شاهين عبد الصبور، يتناول هذا الكتاب القرآن الكريم وعلومه، عدد صفحاته 328 صفحة.

2/ وجهة العالم الإسلامي: (vocation de lislam)

ترجمة الدكتور شاهين عبد الصبور، عدد صفحاته 200 صفحة، وقد برز سلسلة من المؤلفات السابقة الأخرى(الظاهرة القرآنية، مشكلة الثقافة ...إلخ)[2]، ويتناول هذا الكتاب مراحل التحرر والإتجاه نحو التقدم والتحضر.

3/ فكرة الكومنويلث:(L'idée dun commonwlth islamique)

صدر سنة 1960م باللغة الفرنسية، وتم ترجمته إلى اللغة العربية من قبل الطيب الشريف وعمر مسقاوي، قد تناول فيه مالك بن نبي حركة العالم الحديث حيث يقول عمر مقساوي:« فكرة الكومنويلث يمنح العالم الإسلامي موقعا له في خريطة العالم المعاصر »[3]

4/ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:(Le probléme des idée dans le monde): صدر سنة 1972م، كتب لأول مرة بالفلانسية وترجم بعد ذلك إلى اللغة العربية

---

[1]– مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، (تر): شاهين عبد الصبور، دار الفكر، ط1، 2002، دمشق سوريا، ص 13.

[2] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر نفسه، ص 13.

[3] – مالك بن نبي، **فكرة الكومنويلث**، (تر): الطيب الشريف، دار الفكر، ط1، 1960، دمشق، سوريا، ص 9.

على يد كلا من الدكتور رسام بركة، والدكتور أحمد شعبو، عدد صفحاته ما يقارب 184 صفحة، حيث يتناول فيه تحليل لمشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، فمالك بن نبي يرى أن المشكلة الأساسية قائمة في العالم الإسلامي هي مشكلة أفكار في بداية الأمر ونهايته.

5/ آفاق جزائلرية (perspectives Algerieees): صدر سنة 1964م[1].

6/ دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين(le role d'un muslman dans le dernier tiers du 20 Siécles): هو كتاب صغير عدد صفحاته 25 صفحة، يتكون من محاضرتين ألقاها مالك بن نبي في 28 مارس 1972م.

7/ المسلم في عالم الإقتصاد:(le musulman dans le monde de l'economie):

كانت غاية وهدف مالك بن نبي من وضع هذا الكتاب هو أنه يرى ضرورة و واجب التخلص من التقليد وجل التبعية في كل المجالات خاصة الإقتصادية، ويقترح في ذلك أن تكون للنظرية الإقتصادية معادلة ومرتبطة بالعامل أو المجال الإجتماعي، ويقول في هذا الإتجاه مالك بن نبي:« الأن إذا عدنا للحديث عن مثقفينا في المجال الإقتصادي، نرى أنهم وقفوا موقف إختيار وتفضيل حيث آدم سميث وماركس وبينما كانت القضية ولا زالت قضية تطعيم ثقافي للمجتمع الإسلامي يمكنه من إستعمال إمكانياته الذهنية والجسمية وبصورة عامة تجعل كل فرد فيه نشط وعلى أساس (معادلة إجتماعية) تؤهله لإنجاحخ أي مخطط إقتصادي[2].

كان المؤلف باللغة العربية، تم إصداره بتاريخ 1972م ببيروت، يقوم على دراسة تحليلية ترجم على يد الدكتور نور الدين خندودي وكان إصداره في الجزائر سنة 1996م[3].

---

[1]– لويزة لعميري، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[2]– مالك بن نبي، **المسلم في عالم الإقتصاد**، دار الفكر، ط3، 1987، دمشق، سورية، ص 9.

[3]– محمد بغداد باي، **تربية إنسان ما بعد الحضارة "قراءة تربوية نوعية لفكر مالك بن نبي"**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: إبراهيم ماحي، قسم علم النفس والأرطوفونيا، 2016، جامعة وهران 2، ص 28.

8/ مجالس دمشق:

مؤلف باللغة العربية وهو عبارة عن محاضرات تم تأليفه 1971- 1972م بدمشق[1]

- ما يتعلق بالإنتاج الأدبي لفكر مالك بن نبي:

1/ لبيك حج الفقراء:(labeik):

يتكلم هذا الكتاب عن الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر في ثلاثينيات وربعينيات القرن والمعاناة التي كان يعيشها الشعب الجزائري وسيطرة المستوطنين المحتلين[2].

2/ مذكرات شاهدة للقرن: (mémoires d'un témoin du siecle):

وهو عبارة رواية ألقاه مالك بن نبي وهي تتكون من قسمين، القسم الأول الطفل من 1905-1930م و القسم الثاني الطالب من 1930-1939م.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات التي ذكرناها إلا أنه توجد بعض المؤلفات لمالك بن نبي التي لم تنشر وهي كالتالي:

1/ دعوة إلى الإسلام 1947م.

2/ العفن (pourritures): وهو الترجمة للعنوان الجامع الذي إختاره مالك بن نبي لمذكراته ولإعترافاته التي تغطي الفترة الواقعة مابين 1932- 1940م[3]

3/ مذكرات شاهدة للقرن الجزء الثالث 2006م.

4/ معنى الرحلة 1970م.

5/ الإسلام و الديمقراطية 1968م

7/ العولمة 2004م.

ب/ وفاته:

[1]- محمد بغداد باي، مرجع نفسه، ص 29.

[2]- محمد بغداد باي، المرجع نفسه، ص 35.

[3]- محمد بغداد باي، المرجع نفسه، ص 38.

عانا مالك بن نبي من المرض وإشتد عليه أكثر أثناء إلقاء محاضرات كان في رحلة إلى مدينة الأغواط، فقد كان يعاني من مرض سرطان البروستاتا، فسافر إلى فرنسا لتلقي العلاج ولإجراء عملية جراحية، لكن مثواه الأخير كان أرض وطنه، توفي يوم الأربعاء 01 شوال 1393هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 1973م[1]

فقدت الجزائر والعالم الإسلامي مفكرا كبيرا متميزا رغم ما يُعترض عليه أو يخالف في بعض أفكاره و آرائه.[2]

المبحث الثالث: مضامين فكر مالك بن نبي

1/ الحضارة و التاريخ:

يرى مالك بن نبي التاريخ وإنتاجه وصناعته إلى العوالم الثلاثة وهي الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، حيث قال مالك بن نبي:« صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طلرائق إجتماعية ثلاثة: تأثير عالم الأشخاص، تأثير عالم الأفكار، وتأثير عالم الأشياء »[3]

ونفهم من ذلك بأن التاريخ في فكر مالك بن نبي وفي تصوراته لا يمكن أن يقوم و يصنع و ينجز حضارة إلا في تواجد العوالم الثلاثة، حيث أن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل في شكل مستقر أو متفرقة عن بعضها البعض، بل تكون وفق عمل متوافق و منسجم حيث قال مالك بن نبي:« لا يمكن أن يتم أي عمل تاريخي إذا لم تتوفر صلات ضرورية داخل هذه العوالم الثلاثة أجزائها في نطاق خاص، وبين هذه العوالم يتشكل كيانها من أجل عمل متحرك»[4]

[1]– جيلالي بوبكر، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[2]– محمد العبده، مرجع سبق ذكره، ص 44.

[3]– جيلالي بوبكر، مرجع سبق ذكره، ص 42.

[4]– جيلالي بوبكر، المرجع نفسه، ص 42.

ونلاحظ أن عند تحقق وحدة العمل التاريخي يتشكل بدوره ما يسمى بالحضارة أو البناء الحضاري، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق وبروز عالم رابع إضافة إلى العوالم الثلاثة والذي يطلق عليه مالك بن نبي " شبكة العلاقات الإنسانية"[1]

وتتضح العلاقة أو الصلة بين الحضارة والتاريخ عند مالك بن نبي، فعندما نقول مجتمع متطور ونعني به ذلك الإتفاق وتلاقي الأفراد وإشتراكهم في هدف وإتجاه معين وذلك بما فيه من أداء أدى إلى نفس العمل الذي يكون له غاية عند جميع أفراد المجتمع، وهذا العمل يتجح من خلال هذا التركيب " مجموعة العلاقات الخارجية"[2]، ويقول مالك بن نبي: « شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده »[3]

وعليه يمكننا القول بأن وحدة العمل التاريخي إذا تحقق معها الإنجاز الحضاري أو البناء الإجتماعي، وهذا يمكننا من القول بأن الحضارة تبقى دائما وأبدا عمل تاريخي، يقول مالك بن نبي:« وتعد الحضارة مظهر من مظاهر الحياة والفكر الجماعي من هذا الجانب يعتبر التاريخ دراسة إجتماعية، إذ يكون دراسة شرائط نمو مجتمع معين لا يقوم نموه على حقائق وعوامل سياسية بقدر ما يخضع لخصائصه الأخلاقية الجمالية والصناعية المتوفرة في رقعة تلك الحضارة »[4].

يرجع مالك بن نبي الحركة التاريخية أو الدورة التاريخية إلى مبدأ أساسي ألا وهو القرآن الكريم في قوله تعالى:« **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَاْ بِأَنْفُسِهِمْ** »[5].

[1]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 28.

[2]– جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 40.

[3]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 28.

[4]– جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 43.

[5]– جيلالي بوبكر، المرجع نفسه، 45.

وعليه يمكن القول بأن العمل التاريخي والنشاط التاريخ الحضاري يتم وينطلق من مرجعية أساسية ومبدأ الإيمان وهو القرآن الكريم وكذلك بتأثير العوالم الثلاثة.

2/ التربية و الثقافة:

يربط مالك بن نبي التربية بالثقافة وذلك من حيث مفهومها و وظيفتها الإجتماعية، فمالك بن نبي نجده لم يتكلم عن التربية بشكل مباشر في مؤلفاته و ينظر بأنها تتداخل مع الثقافة، حيث قال: « هي عملية تثقيف متواصلة وتتمثل في عملية تثقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم في أولى مهامها بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد، أي في بنية إنسان ما بعد الحضارة »[1].

إذا قادنا الحديث عن مفهوم التربية عند مالك بن نبي نجده يتكلم عن الثقافة ومفهومها، نظرا إلى ذلك على أن الثقافة نالت دراسة كبيرة من طرف مالك بن نبي وأعطاها عناية كبيرة في فكره، بإعتبارها عاملا وجانبا أساسي في تكوين الفرد ونموه ونمو وعيه وفكره، وعليه يمكن إبراز تلك العلاقة بين التربية والثقافة في قوله:« إن من الأولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي ولذلك أن تحددها عامة تاريخيا لكي نفهمها، ثم نظاما تربويا تطبيقيا لنشرها بين طبقات المجتمع »[2].

وعليه يمكن أن نعتبر التربية عملية تثقيفية التي تهتم بتوعية وتنمية سلوكات الأفراد وبالتالي يكون هناك أفراد صالحين في وسط المجتمع.

فالثقافة عند مالك بن نبي:« هي مجمةعة الصفات الخلقية والقيم الإجتماعية يتلقاها الفرد منذ ولادته، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقها الإنسان المتحضر »[3].

---

[1]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 197.

[2]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 76.

[3]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، المصدر نفسه، ص 74.

أي أن الثقافة هي تلك العملية التربوية التي قوامها المبادئ الأخلاقية والإجتماعية والتي يكون منبعها ومصدرها الأساسي المجتمع، فالتربية تعمل على تحسين سلوكات الأفراد وتنظيم سلوكاتهم وحياتهم الشخصية وهذا ما يؤدي إلى إزدهار المجتمع ورقي أفراده نحو التجديد والبناء الحضاري.

معنى الثقافة في التربية عند مالك بن نبي نجد بأنها تعتبر مفهوم أساسي وشرط من شروط الحياة، أو قانون ملزم في وسط المجتمع، فقال مالك بن نبي:« هي دستور تتطلبه الحياة العامة »[1]، بمعنى ذلك أن الثقافة تتدخل في تفاصيل الفرد والمجتمع كما تساهم في تكوينه.

وعند حديث مالك بن نبي عن الثقافة قد نجده يستشهد بالتربية، أي أن مالك بن نبي يحصر ويضع معنى الثقافة ضمن مفهوم التربية، فعندما نتكلم عن الثقافة نجد أنفسنا نتكلم عن التربية والعكس صحيح، حيث قال مالك بن نبي في هذا الإتجاه:« إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي و التمدن فإنها أيضا ذلك الحاجز يحفظ أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية »[2].

فالثقافة عملية تربوية تساهم في معالجة مشكلة المجتمع، وتساهم في بناء المجتمع، فالثقافة هي بمثابة الهواء الذي يحتاج إليه المجتمع وتتغذى منه حضارته.

فالتربية و الثقافة عند مالك بن نبي يسعيان إلى نفس الهدف، فالصلة التي تجمعهما أو العلاقة هي علاقة وظيفية تكاملية تداخلية إلزامية، وقد نجد المركب الإجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي والذي يتكون من أربعة عناصر: وقد يجعلها المجتمع قانونا أو بمثابة دستور حياته الثقافية (1/ عنصر الأخلا لتكوين الصلات الإجتماعية 2/ عنصر

[1]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، المصدر نفسه، ص 77.

[2]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص86

الجماللتكوين الذوق العام،3/ منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام،4/ الفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة)[1]

وهذا ما يؤدي وينتج لنا أفراد مجتمع تجمع بينهم صلات وعلاقات إجتماعية، وبالتالي يكون هناك نهوض وبناء وتجديد وتغيير ونتخلص من كل مظاهر التخلف والإنحطاط متجهين نحو مبادئ وبوادر الرقي والتطور وفق معايير ومناهج تربوية ثقافية.

[1]– مالك بن نبي شروط النهضة، المصدر نفسه، ص87.

خلاصة:

نستنتج من خلال كل ما تطرقنا اليه في هذا الفصل وبعدما تعرفنا علي شخصية مالك بن نبي ومن خلال العوامل الغربية والعربية التي اثرت في فكرة وشخصية وأهم المحطات الإجتماعية التي عاشها جعلت منه إنسانا ومفكر، تميز بفكره عن باقي المفكرين ورغم ذلك الدمار التقني والإجتماعي الذي كانت تشهده بلاده إلا أنه لم يكن حاجزا أمامه بل كان كثير الإحتكاك بالأصدقاء و الشيوخ و المعلمين سواء كانوا معلمين عرب أو غربيين، وعليه يمكن القول أن كل هذه الظروف التي عاشها وواجهته ساهمت مساهمة كبيرة في بناء فكر مالك بن نبي وإهتمامه، فقد ترك مالك بن نبي ثقافة عصرية متداولة من جيل إلى آخر و ذلك من خلال المؤلفات والإنجازات والأعمال التي خلفها، فبقى المجتمع يلتمس الحاجة إلى مفكرين وعلماء مثل شخصية مالك بن نبي رحمه الله.

الفصل الثاني:

المشكلة التربوية عند مالك بن نبي

تمهيد

المبحث الأول: ضبط المفهوم العام التربية

1- تعريف التربية (لغة وإصطلاحا)

2- التطور التاريخي للتربية عبر العصور

3- أهدافها و خصائصها

المبحث الثاني: مفهوم التربية عند مالك بن نبي

1- أبعاد التربية عند مالك بن نبي

2- أهداف التربية عند مالك بن نبي

خلاصة

تمهيد:

تعتبر وتعد التربية عملية إجتماعية غايتها إنشاء وبناء من الإنسان مواطن عصري عقلاني، حيث نجد أن مالك بن نبي قد وضع وخصص لها جانب كبير في فكره، ونجده لم يصرح بها بشكل مباشر إلا أنه قد ربطها ربطا مباشرا بالثقافة، بمعنى تتمثل هذه العملية في المحتوى النفسي الذي يتأسس على تركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد فالتربية عند مالك بن نبي هي تلك العملية التثقيفية والتي يعطيها معنى المنهج وقد جعل من خلاله وحدة الثقافة التي تصنع حضارة المجتمع، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الفصل ونتطرق فيه إلى نظرته إلى التربية وأهم الأبعاد التي ترمي إليها فلسفته التربوية والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها من أجل تحقيق النهضة والتطور والرفاهية في المجتمع.

المبحث الأول: ضبط المفهوم العام للتربية

1/ تعريف التربية:

أ/ لغة:

- **الأول:(ر ب)**: من قولهم ربيته، متنته، وربيته: دهنته وأصلحته، وربيها: نماها وزادها وأتمها وأصلحها، وربّه يرُبّه: يكفل بأمره، ورباه تربية، أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولة، وأرب بالمكان: لزمه وأقام به فلم يبرحه.

- **الثاني:(ر ب و)**: من قولهم: ربا الشيء يربو رُبُواً: زاد ونما، ورَبَوْت في بني فلان رُبوّا و رَبْوّا نشأت فيهم، وربيتُ فلانا أربّيه تربيية: أي عدوته وهذا الكل ينمي كالولد والزرع ونحوه.

- **الثالث: (ر ب ي)**: من قولهم: ربيت رباء وربّيًا و ربيت أربي ربًّا و معناه أيضا نشأت فيهم.[1]

ب/ إصطلاحا:

- **بالفرنسية:** Education

- **بالإنجليزية:** Education– culture

[1]– إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط10، ج5، دار صادر، 2003 تونس، ص 119.

(التربية هي تبليغ الشيء إلى عماله)[1]

التربية عند المحدثون هي:(تنمية الوظائف النفسية بالتمرين في تبليغ كمالها شيئا فشيئا نقول: ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة).

– تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف[2] وكما تعرف كذلك بأنها: (علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى[3]

وعليه يمكن أن نقول بأن التربية تبقى ظاهرة إجتماعية تنمو وتكبر مع الإنسان بإعتباره كائن إجتماعي يتأثر بغيره، ويؤثر فيه فهي صفة يكتسبها الفرد من محيطه الإجتماعي ويعمل بإستطاعته ومقدوره على تطويرها.

– **التربية عند جون ديوي:**« إن التربية ظاهرة طبيعية الجنس البشري وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة »[4]

– **التربية عند دوركايم:**« هي العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تنضج بعد، من أجل الحياة الإجتماعية، إن هدفها أن تثير لدى الطفل وتنمي عنده طائفة

[1]– جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية واللإنجليزية واللاتينية** ، دار الكتاب الفلسفي 1982، لبنان، المادة (التربية)

[2]– إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د ط)، 1983، القاهرة المادة(التربية)

[3]– مرجع نفسه، المادة (التربية).

[4]– زيرق دحمان، **التربية في الفكر الإسلامي المعاصر محمد الغزالي نموذجا**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف إبراهيمي الطاهر، قسم العلوم الإجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، 2016، بسكرة، ص 14.

من الأحوال الجسدية والفكرية والخلقية التي يتطلبها منه المجتمع السياسي في جملته وتتطلبها البيئة الخاصة التي يعد لها بوجه خاص »[1]

- **التربية في التصور الإسلامي:**« هي عملية متشبعة ذات نظم وأساليب متكاملة نابعة من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، تهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله شيئا فشيئا إلى درجة كماله التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله »[2]

- **التربية عند محمد الغزالي:**« يرى الغزالي أن التربية هي التزكية والتزكية هي البحث عن كل عيب في النفس الإنسانية ووقفه إجتثاث جذوره، ثم يجئ بعد هذا تكميل النفس الإنسانية بالكمالات الإنسانية »[3]

2/ التطور التاريخي للتربية عبر العصور

أولا: التربية بعد خلق الإنسان وخلال الحياة البشرية الأولى:

1/ **التربية لدى الأقوام البدائية:** نبدأ بنشأة التربية وظهورها في المجتمع البدائي، لأن الأشكال الأولى والبذور الأولى لأن الظاهرة هي التي تكشف لنا أعماق هذه الظاهرة و لخصائصها العريقة البعيدة، وهذه الخصائص قد تنتقل من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر مع تغيرات وإختلفات قد تطرأ عليها.

[1]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 12.

[2]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 12.

[3]- زيرق دحمان، مرجع سابق، ص 13-14.

وتصف التربية في المجتمعات البدائية(تلك الأقوام التي تجدها نماذج لها قيما تبقى منها لدى الشعوب البدائية التي تعيش بيننا والتي كانت و ما تزال موضوع دراسة علماء الإجتماع وسواهم[1]

إن التربية هدفها الوحيد أن يخلد الناشئ عادات مجتمعه وطراز حياته تقليدا(عبوديا خاصا).[2]

يُمارس أفراد المجتمعات البدائية طقوس مختلفة ومتنوعة وبواسطة هذه الطقوس يستطيع الفرد الإندماج في وسط مجتمعه، وأن هذه الطقوس ليست سوى النقاط البارزة والملاحل الكبرى في تكوين النشيئة، فهؤلاء يتدبرون بالإضافة إليها وخلالها يتحصلون على اللغة المشتركة للجماعة كما يتعلمون إستخدام الأدواء سواء منها البسيط والمعقد وممارسة الأعمال الشائعة في شؤون الحياة المادية[3]

التربية الخلقية تتم عن طريق العفو والتسامح دون عقاب أو عذاب أو إكراه ويحرصون على التربية السليمة والحسن الخلقي، الذي ينتقل من جيل إلى جيل حارصين على المبادئ السليمة والسلوك السوي والتصرف السليم، مع أن أوامرهم تتصل غالبا بتقديس الأجداد وإحترام الشيوخ والأباء، ويتحلون بصفات الشرف والوفاء والصدق وطاعة من هم أكبر منهم سنا وطاعة والي الأمر.

أما التربية الدينية تتميز ببعض الطقوس المختلفة والغريبة، ومن بين هذه الطقوس والمظاهر التي يمكن أن ترى فيها الأصول البدائية للحياة الدينية نذكر منها:

---

[1]– عبد الله عبد الدايم، **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، 1973، بيروت، لبنان، ص 14.

[2]– نفس المرجع، ص 15.

[3]– نفس المرجع، ص 18.

التفريق بين العالم المرئي والعالم الغير مرئي، الشعور بخضوع الإنسان لعالم أعلى، والإيمان بقدرة عليا تنظم الكون وتهيمن عليه(...)، الشعور الخلقي القائم على التميز بين الخير والشر و الحياء والعدالة و المسؤولية والحرية والواجب(...)، تنظيم بعض العبادات بالصلاة والذبيحة وسواها(....)[1]

- التربية الشرقية القديمة:

- **التربية الهندية:** تعتني الهند وتحرص على تربية الطفل قوامها الخلق الحسن والمبادئ النبيلة رغبة في النهوض بمستقبل زاهر متقدم، وهذا ما نجده واضح في المثل الهندي(عندما يكون الأولاد صغار زودهم بجذور عميقة، فإذا كبروا زودهم بأجنحة طليقة) درس الهنود العديد من العلوم، مثل الحساب و الطب ونجحوا في تمرير ميراثهم العلمي للأمم الأخرى(..)[2]

يعود تأسيس ونشأت البوذية على يد الرئيس "هارتاناجوتاما" (563ق م-483 ق م) المعروف بإسم بوذا، الذي يعرف بإسم الحكيم و المنير وهو فيلسوف وحكيم قديم وزعيم ديني.

وما يميز المجتمع البوذي وما يؤمن به السعادة وما ينجر عنها من مبادئ قيمة تقوم بتنقية النفوس والإبتعاد عن الشهوات والتفرغ للعبادة وتصفية النفوس.

وما يميز المجتمع الهندي القديم صفتان:

[1]- المرجع نفسه، ص 23.

[2]- زيرق دحمان، المرجع السابق، ص 96.

(الروح الطبقية من الوجهة الإجتماعية ومذهب الحلول والوجهة الدينية)[1]

ويتكون المجتمع الهندي من أربعة طبقات هي:

1/ طبقة البراهماتيين أو الكهان، ومنها يظهر المعلمون والمشرعون.

2/ طبقة الكشاريا أو المحاربين.

3/ طبقة الفايزا أو طبقة الضاع.

4/ طبقة السوادرا أو طبقة العبيد(....)[2]

إن الديانة الهندية تقوم بتناسخ الأرواح فالشعب الهندي يقوم على مبادئ روحية، حيث يقومون بإحياء أرواحهم رغبة في الوصول إلى روح العلى الكلية و الوصول إلى الطمأنينة التامة والخير.

ونظام التربية المطبقة حيث كان البراهماتين أو الكاهن كانوا القائمين وحرصين على التربية وما يخدمها، والمرأة كانت مرتبطة بالرجل إرتباطا مطلقا، فقد كانت محرومة من أي ثقافة أما الفتيان فيبدر أنه وجدت لهم مدارس إبتدائية في جميع العصور، وكانت هذه المدارس تقوم في قلب الريف تحت ظل الأشجار وتحت الأروقة في المطر(...) وكانت النظم تبيح العقاب الجسدي(...)، أما الدراسات الغالبة فكانت وقفا على طبقة الكهان الذين كانوا يدرسون قبل العصر المسيحي بكثير، الخطابة والمنطق والفلك والرياضيات[3]

[1]– المرجع نفسه، ص 96.

[2]– المرجع نفسه، ص 97.

[3]– عبد الله الدايم، مرجع سابق، ص 28.

وعليه فإن التربية الهندية أعطت إهتماما كبيرا للتربية الروحية و الأخلاقية و الإجتماعية وأعطت كذلك جانبا للأنظمة والطرق التعليمية، وعملت على نبذ والإبتعاد عن الشهوات وملذات الدنيا، ورغم ذلك إلا أن التربية الهندية لم تعطي وتفي المرأة حقها في التعليم.

- التربية لدى بني إسرائيل:

جعل بني إسرائيل من التربية كوسيلة للحفاظ على معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وجعلها حية لا تزول رغم إنتقالهم وتشردهم من بلد إلى أخر.

و كان النظام التربوي (كان على الطفل أن يتربى على أن يكون مخلط ويهوه لذا لم يكن عليه أن يكتسب معلومات واسعة بل يكفيه أن يتعلم عن طريق المثال و القدرة والقواعد الخلقية والمعتقدات الدينية(...) و الإنسان الكامل في نظر العبريين هو التقى الفاضل الذي يبلغ هذا المثل الأعلى الذي سنه الإله نفسه في التواراة إذ قال(كونوا قديسين مثلما أنا قديس، أنا ربكم الخالد)[1]

وعليه فإن النظام التربوي كان قاسيا ووحشي ومن واجب القانون ضرب الطفل، وقد إختلفت مناهج التربية وطرق نظمها وذلك من خلال إنتشار المسيحية في المجتمع اليهودي، وقد كان الطفل عندهم يدخل المدرسة في السن السادس من عمره، ويقومون على تعليم المرأة التاريخ والهندسة والفلك.

ومنه يمكننا القول بأن التربية اليهودية لها طابعها الخاص بها وما يميزها عن غيرها من التربية الشرقية، وما يميز التربية الشرقية هو روح المحافظة والحد من حرية الفرد، وما يميز

[1]- عبد الله الدايم، مرجع سابق، ص 29.

المجتمع اليهودي هو عدم ميله لحب الثقافات والحضارات والثقافات المختلفة التي تجمعه بأفراد مجتمعه.

- **التربية الصينية:**

تعد التربية الصينية مثلا ونموذجا للتربية الشرقية(يمكننا أن نعد التربية الصينية النموذج الواضح للتربية الشرقية عامة، فهي تمثل في شكل بين خصائص التربية الشرقية، فهي تتصف بروح المحافظة وتهدف إلى أن تجمع في الفرد حياة الماضي، وأن تنشئه على عادات فكرية وعلمية كالعادات الماضية(....) أي عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة(...)، و نرى أن حياة التربية والسكون المطلق والجمود هي الصفات التي تميز هذا الشعب منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة)[1]

- **النظام التربوي:**

(ركزت التربية الصينية على ضرورة عقد الإختبارات للطلاب، وعلى أهمية حفظ المعلومات ولم تنسى فلسفة التربية الصينية أن تؤكد على الروحانيات، وفي الجانب الأخلاقي إهتمت بإلزام المتعلم بالقوانين والتشريعات(...) فهناك صلة مباشرة بين حبهم لعلم الكيمياء وإرتباطهم بالقيم الروحية، إذ كان هدفهم من دراسة الكيمياء هو إكتشاف سر البقاء فكرسوا جهودهم في البحث عن مادة تهب حياتهم الخلود)[2]

- **رواد الحركة الدينية في الصين:** نذكر منهم

- لوتس (laotzu): هو مؤسس الطاوية في القرن السادس قبل الميلاد (507ق م).

[1]- عبد الله الدايم، المرجع نفسه، ص 33.

[2]- الكندري لطيفة، ملك بدر محمد، **تعليقة أصول التربية**، ط3، مكتبة الفلاح، 2008، الكويت، ص 80.

– الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس:(479 ق م 551 ق م): هو المعلم التربوي الذي إستمر فكره وإنتشر سحره في أعماق الفكر التربوي الذي أطلق عليه لقب أعظم معلم صيني.

– التربية لدى قدماء المصريين:

تعتبر مصر من بين الدول قدما سكانا، حكمتها منذ أقدم العصور سلالات عديدة من الفراعنة، وفي فترة من الفترات إحتل الهيكسوس (ملوك الرعاة) جزءا من أرض مصر ثم ما لبثوا حتى طردوا منها حوالي عام 1700 ق.م ، وعادت البلاد الوطنية وحكمت مصر كلها ووحدتها، وفي عام 525 ق. م إستولى قمبيز ملك الفرس على تلك البلاد وجعلها مقاطعة فارسية، ثم غزاها الإسكندر الكبير وأنشأ فيها مدينة الإسكندرية التي أصبحت موئلا للعلم والحضارة[1]

يؤمن المصريون القدامى بالبعث بعد الموت وبخلود الروح والثواب والعقاب في دار الآخرة وكانوا يظنون أن الروح تعود لتسكن الأجساد من جديد، حيث أنتهجوا فكرة التحنيط وصنعوا الأهرامات رغبة في حماية الموتى والجثث.

وينقسم المصريون إلى ثلاث طبقات إجتماعية:

1/ طبقة الكهنة: وهي أعلى طبقة وكانت لهم السلطة الكبرى على الشعب.

2/ طبقة تضم المحاربين الذين كانوا يعدون نبلاء .

3/ طبقة تضم كافة الشعب.

– النظام التربوي لدى قدماء المصريين:

[1]– عبد الله الدايم، المرجع السابق، ص 46.

كان النظام التعليمي يركز على حفظ المعلومات وتنمية المهارات مثل الحضارة السومرية ويمتاز نظام التربية بالعناية والإهتمام بالإعداد الديني والخلقي، ومن فضائله إستخدام الطرائق المحسوسة في تعليم العلوم، والتعليم العالي الذي كان شائعا في مصر القديمة أكثر من أي بلد آخر.

ثانيا: التربية في العصور الوسطى وعند العرب قبل وعند مجيء الإسلام:

- التربية اليونانية:

تتميز التربية اليونانية بإفساح المجال الواسع لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها الساسية والخلقية والعلمية والفنية، وغاية التربية عندهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة الكمالية، فكان التكوين الروحي للفرد موضع غايتهم وتكامله النفسي وتحقيق الإنسجام بين كماله الروحي وكماله الجسدي المثل الأعلى لهم.

- **التربية الإسبرطية:** كان المجتمع الإسبرطي طبقات مثل: شقيقة الإثيني، ونظامها التربوي يهدف إلى إعداد الفرد وإتخذت من الطاعة العمياء للقانون ومن التربية الجسدية ومن التقشف وضبط النفس والشهوات وتحدي الصعاب[1].

- **التربية الإثينية:** (تختلف عن التربية الإسبرطية سواء من ناحية أهدافها أو في وسائلها فهدفها أن تخرج فردا حكيما في أدائه وواجباته وفي إستخدام حقوقه هذا إن كانت من ضمن أهدافها أن تخرج شخصا قويا شجاعا في الحرب، فإنها إختلفت مع الإسبرطيبة أيضا في طريقة الإعداد وفي حين إعتمدت الإسبرطية على الدولة في تنشئة الطفل، أولت التربية للأسرة قدسية وإعتبرها ركيزة في تنمية الطفل وتكوين شخصيته.)

[1]- محمود السيد سلطان، **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ**، دار المعارف، 1979، القاهرة، مصر، ص 410.

- **السفسطائيون:** هم عبارة عن معلمين جاءوا إلى أثينة من الخارج، هدفهم التجهيز للحياة العامة، وكلمة سفسطائي مقصود بها " الحكيم" فهم كانوا جماعة مشعوذين، وبرزوا أشخاص من أمثال " بروتا غورس" هم فلاسفة حقا ويجدر بنا القول بأن نعطي لمحة في هذا الجزء من التربية اليونانية على بعض الفلاسفة وعلماء ساهموا في صناعة الحضارة و الثقافة اليونانية منهم:

* **سقراط:** كان يؤمن بالحياة بعد الموت وناقدا للمجتمع ما يجري فيه من الفساد، وأن إتصالاته المستمرة مع الشباب أوجدت حركة إجتماعية ضد الأوضاع السائدة، الأمر الذي حمل الإثنين على محاكمة سقراط بتهمة إفساد الشباب، حيث حكمت عليه المحكمة مما أدى به إلى شرب السم.

* **أفلاطون:** أول من كتب عن العلاقة الوثيقة بين التربية والمجتمع، فسلامة المجتمع بل سلامة الإنسانية كلها تتوقف على سلامة التربية التي يقدمها المجتمع للفرد، فإذا صلحت التربية صلح المجتمع، وإذا فسدت إضمحل المجتمع و زال.[1]

- **التربية الرومانية:**

(كانت التربية الرومانية تربية جسدية وخلقية بل كانت تربية حربية وخلقية، فكانوا يعتنون من جهة بالتدريبات المتصلة بساحة الوغى أو ساحة مارس(...) ويعتنون من جهة ثانية بحفظ الأناشيد الدينية التي كانت تضم أسماء الآلهة والآلهات)[2]، وقد كانت التربية الرومانية

[1]- محمود فاضل الجمالي، **تربية الإنسان الجديد**، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، 1967، تونس ص 77.

[2]- زيرق دحمان، مرجع سابق، ص 144.

تربية تقليدية وطريقة التعليم كانت تتم بواسطة الحفظ عن ظهر قلب مع ترك مجال التعبير والحرية للمتعلم.

وعليه تبقى الكنيسة هي المؤسسة الأعظم والمسؤولة على توجيه المجتمع، ولها الإشراف في تسيير حركة وأمور المجتمع مع كبح حرية الشعوب.

- التربية العربية الإسلامية:

قال الكواكبي واصفا العرب بأنهم أقدم الأمم إتباعا لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الإجتماعية (...) وأعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية، وأهدى الأمم لأصول المعيشة الإشتراكية... وأحرص الأمم على إحترام العهود غره، وأحترام الذمة الإنسانية، وإحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة... وهم أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين، فهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرفية)[1]

- العرب قبل الإسلام:

سعى العرب قبل الإسلام إلى الإنتقال عبر الصحاري، وذلك رغبة في المأكل والمشرب وتوفير مستلزمات الحياة، لا يحكمهم نظام ولا قانون ويسودهم الحرب والخراب، ومن بين الحروب نذكر حرب البسوس بين قبيلتي ثعلب وبكر وحرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان.

مجتمع يسوده الجهل والإنحطاط، يتناولون الخمر والشراب بأنواعه والزنا، وكانوا يعبدون آله واحد، ورغم الجهل الذي يسودهم إلا أنهم يتصفون بسمات الجود والكرم.

[1]- زيرق دحمان، المرجع نفسه، ص 119.

- التربية المسيحية في العصور الوسطى:

تركز المسيحية على الإيمان بالجوانب الروحية في الإنسان، فهي تختلف عن النظام التربوي لدى اليهود و اليونان والرومان، إتباع الدين المسيحي الذي يسمى في تاريخ البشرية (بالحياة النظيفة).

- التركيز على أخلاق المعلم وعلى مفهوم العدل والحكمة، العفة، الشجاعة، ضبط النفس.

- سيطرة رجال الدين على مقاليد الأمور كلها، وعلى رأسها الشؤون السياسية [1].

- إحتكار حق مطالعة الكتب على طائفة رجال الدين، وعدم تشجيع العلماء والبحث العلمي.

- الإيمان بالخرافات والتبرك والتسامح بالصور و الصليب و تماثيل و تفسير الأمراض المزمنة على أنها مس شيطاني، فقاموا بتعذيب المريض.

- فكرة الخطيئة الأولى وعقدة الدين ولدت عند البعض الشعور بأن الإنسان شرير أوجدت فكرة المخلص الذي يضحي بنفسه لإنقاذ البشرية.

- إحتكار المرأة و سلب حقوقها المادية و الإنسانية و تشجيع الإهتمام بالأدب و القانون.[2]

- التربية في الجاهلية:

[1]- الكندري لطيفة، مرجع سابق، ص 96.

[2]- الكندري لطيفة، مرجع سابق، ص 96.

كانت الأسرة هي المرجعية للتربية وكانت العشيرة تشارك في ذلك، حيث كان الأطفال يتبعون أسرهم وعشيرتهم في تقليدهم من نواحي المأكل والمشرب والملبس، وكانوا يمارسون الصيد والرمي و غزل الصوف، و حياكة الملابس وتربية الماشية.

(الحضر كانت التربية عندهم أرقى وفي وسعنا أن نقول أنها كانت تنقسم إلى قسمين: إبتدائية وعالية (...) كان الأطفال في القسم الإبتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة، كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية وعلم الفلك والطب وحتى العمارة والنقش والآداب والتاريخ)[1].

- التربية العربية عند مجيء الإسلام (العهد الأول):

و هذه الفترة تنقسم إلى أطوار يتميز كل واحد منها بخصائص تأخذ التربية خلالها أشكالا تتباين مع بعضها البعض:

- الطور الأول: طور نمو الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

- الطور الثاني: طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين وقاربت نهايتها في عهد الأمويين (661-750 ق.م).

الطور الثالث: طور تكوين الحضارة العربية و الإمتزاج بين الشعوب والحضارات، بدأ مع ظهور الطور العباسي إلى ظهور الأتراك في القرن 11 ق م.

[1]- عبد الله الدايم، مرجع سابق، ص 136.

– الطور الرابع: ويبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بطهور قبائل المغول المتبربرة في أواسط آسيا في القرن 13 ق م[1]

– أهداف التربية العربية الإسلامية:

– كان هدف التربية عند المسلمين دينيا ودنيويا، وكانوا يسعون إلى إعداد وتكوين أجيال تعمل وفق مقتضيات الدنيا والأخرة، فقد عملوا على تدريس الدين وعلوم الشريعة ودرسوا التاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها.

– من خلال التربية إستطاعوا تكوين وبناء حضارة ساهمت في تقديم رصيدا ثقافيا كان هو الركيزة في تقديم وإزدهار الحضارة.

– التربية بعد مجيء الإسلام: (عهد الحضارة والتوسع)

إن التربية الإسلامية إنتشرت بفضل المؤسسات الدينية والتربوية كغار حراء و بيت الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يعد المركز التربوي الثاني، الذي يعد مركز الإشعاع والمعرفة الكتاب، المسجد، المكتبات، والزوايا، وهذه المؤسسات كانت تحافظ على التربية وإستمراريتها و ديمومتها.

وتستمد التربية الإسلامية جذورها وأصولها من الدين الإسلامي، الذي يعد البذرة الأساسية في السمو بالعقل الإنساني والرقي به وما يتصف به من خصائص، الشمولية و الواقعية والوسيطية والمرونة، وتتصف التربية الإسلامية بأنها إلهية المصدر قبل كل شيء، أي تتصف بالثبات وأصولها من عند الله، خالية من الشوائب أو النقائص، يقول "الوليد إبن

[1]– عبد الله الدايم، المرجع نفسه، ص ص141، 142.

المغيرة" عن القرأن الكريم:« والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله وأنه ليعلو وما يعلى عليه وأنه ليحطم ما تحته »[1].

و عليه فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يبقى الرجل الأمين الذي كان قد قدم لنا نظاما تربويا كاملا للحياة، يراعي فيه الرجل والمرأة والفقير والصغير عبر العصور.

3/ أهداف التربية و خصائصها:

3-1/ أهدافها:

تعتبر التربية عملية مهمة وضرورية لا غني عنها فهي قد أصبحت شيء لزامي في حياة الفرد والمجتمع، فهي غايتها المحافظة وتنمية سلوك الأفراد وتوجيه غرائزه وتنمية ميولاته وهي عملية جد ضرورية من أجل التصدي للحياة ومتطلباتها، فهي تسعى إلى تنظيم سلوكات الأفراد خاصة والمجتمع عامة، ومن بين الأهداف التي تسعى التربية على تحقيقها وأن تكون متوفرة في الذات الإنسانية نذكر منها أهمها:

- تهدف التربية إلى إكتساب الميولات وتنظيمها، وتعمل كذلك على إكتساب العادات والثقافات التي تساعد الفرد في بناء شخصيته والإندماج في وسط مجتمعه:(تهدف التربية على مساعدة الأفراد على إكتساب الميول والميول له أهمية كبيرة في حياة الفرد لأنه يساعده على توجيه الطاقة وبذل الجهود وإنجاز الأعمال، كما لها دور مهم في إكتساب العادات وبناء شخصيته)[2]

[1]- الكندري لطيفة، مرجع سابق، ص 120.

[2]- وجدان كاظم عبد الحميد التميمي، **مفهوم التربية من وجهة نظر الفلاسفة**، جامعة القادسية، كلية الإدارة والإقتصاد- قسم الإقتصاد مجلة كلية التربية- المجلد2- العدد1، ص 62.

– تعمل على تكوين شخصية الفرد وفق قيم ومبادئ أخلاقية وتنميته وتربيته على أساس العمل الصالح، وعلى حب الخير:(تهدف التربية صياغة شخصية الإنسان، فإذا كانت تربيته قائمة على أساس الصلاح ستكون بالتأكيد سببا في إضفاء صبغتها على شخصيته وكذلك العكس)[1]

– تساهم التربية منح المجالات المختلفة للفرد و بذلك يكون قادرا على أن ينمي مختلف إستعداداته سواء كانت فكرية أو جسدية أو إجتماعية أو أخلاقية ...الخ (ومن أهداف التربية نمو طاقات الفرد وإمكانياته على أساس إحترام شخصيته، وإيتاح الفرص المناسبة أمامه لتنمية هذه الطاقات، فالتربية هي عملية نمو شاملة للطفل جسميا، وعقليا وأخلاقيا)[2]

– تعد التربية عملية نقل ثقافي من جيل إلى جيل يتم نقلها، لأن الثقافة لها تأثير على شخصية الفرد ولها دور في تكوينه وتعد لبنة إستمرار المجتمع وتفاعل أفراده وهذا قاله "جون ديوي":« الثقافة هي حصيلة التفاعل بين الإنسان والبيئة »[3]

– وللتربية أهداف إجتماعية حيث أن التربية ترتبط بالفرد والمجتمع وتعمل على تحقيق النمو والتطور الإجتماعي والعلاقات الإجتماعية في مختلف أبعادها بمعنى ذلك أن التربية تؤثر في المجتمع والفرد وتعمل على التخلص من أشكال الإنحطاط والتخلف، وتساهم في سير المجتمع نحو مظاهر والتقدم والنهوض ويقول برتراندراسل:« يعتبر الهدف الوحيد هو تهيئة فرص النمو وتطوير إمكانياته لأقصى حد ممكن »[4]

3-2/ خصائص التربية:

[1]– نفس المرجع ، ص 62.

[2]– زيرق دحمان، مرجع سابق، ص 42– 43.

[3]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 17.

[4]– زيرق دحمان، مرجع سابق، ص 42.

تتميز وتتصف التربية بمجموعة من الخصائص أهمها:

– إن التربية تتكون أطرافها من الفرد ومن المجتمع وتقوم بخلق تفاعل بين الطرفين:(التربية عملية تفاعل أطرافها الفرد والطرف الثاني المجتمع يتم خلالها نقل الأنماط السلوكية عبر دراية بثقافة المجتمع، فالفرد في تفاعل مع الأفراد والجماعة، يأخذ ويعطي فيما يختص بالمعايير والأدوات الإجتماعية والقيم)[1]

– التربية في جوهرها عملية إجتماعية تبدأ من لحظة الخلق وتنتهي بنهاية وفاة الإنسان، أي أن التربية تستمر بإستمرار الحياة:(التربية عملية لا تقتصر فقط على الطفولة الفرد يخضع لها منذ ولادته وتستمر معه حتى وفاته، فهي عملية لا يمكن تجاوزها أو إنكارها في أي مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد)[2]

– بطبيعة الحال ومن الواضح أن لكل مجتمع تربيته الخاصة به والتي ينشئ على غرارها وكذلك تختلف بإختلاف الأجيال فلكل مجتمع ثقافته ومبادئ عيشه أي أن التربية تختلف حسب إختلاف تنوع المجتمعات والثقافات:(التربية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن جيل إلى آخر فهي تختلف بإختلاف المجتمعات والثقافات وتساهم فيها عدة مؤسسات).[3]

– تساهم في البناء الحضاري والنهوض فهي بمثابة الركيزة للبناء والتغيير وتفكيك للعادات والإبتعاد عن التباعية والمحافظة على القيم الحضارية وحمايتها:(هي عملية نقل للحضارة والقيم الحضارية للمجتمع والمحافظة عليها من الإندثار أو التغلب على قيم حضارية أخرى وعززها)[4]، أي أن التربية تساهم في عملية التنشئة الإجتماعية وبواسطتها يجدد ويغير

[1]– المرجع نفسه، ص 40.

[2]– المرجع نفسه، ص 41.

[3]– المرجع نفسه، ص 41.

[4]– المرجع نفسه، ص 41.

المجتمع حياته ومنهجية حياته نحو البناء والإستمرار وهذا ما قد ألح عليه دوركايم منذ إرهاصات تفكيره السوسيولوجي التربوي على أهمية الجوانب الإجتماعية للعملية التربوية فالتربية كما يقرر في الكثير من أعماله العديدة:« هي قبل كل شيء الوسيلة التي يجدد المجتمع عن طريقها وبإستمرار شروط حياته خاصة وتكمن وظيفتها الأساسية في تحقيق عملية التنشئة الإجتماعية المنهجية للأجيال الجديدة »[1]

المبحث الثاني: مفهوم التربية عند مالك بن نبي

إذا قادنا الحديث عن مفهوم التربية عند "مالك بن نبي" نجده أنه لم يعطي لها تعريفا أو مفهوما واضحا ومحددا في جل مؤلفاته ولم يتكلم عن ذلك بشكل مباشر، فنجد "مالك بن نبي" كان عكس الفلاسفة والمفكرين العرب الذين تناولوا مفهوم التربية في فكرهم بشكل مباشر وبشكل تلقائي ورغم ذلك إلا أنه كان بإمكاننا إستخلاص أو إستنتاج بعض التعريفات للتربية عنده وكان ذلك من خلال أفكاره التربوية أو المضامين التي لها صلة من خلال إنتاجه الفكري لما يتضمنه من قيم تربوية ذات أبعاد مختلفة، إلا أن "مالك بن نبي" جعل مفهوم التربية مرتبط بالثقافة، ومتداخلة في معناها بحيث قال وبالتالي فالتربية ومفهومها "عند مالك بن نبي" :(إنها عملية تثقيف متواصلة وتتمثل عملية التثقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم في أولى مهامها بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد أي في بنية إنسان ما بعد الحضارة).[2]

– **التربية كمفهوم:** نجد "مالك بن نبي" تناول فكره العديد من المصطلحات أو المفاهيم المختلفة وكانت هذه الأخيرة لها صلة أو ما نستطيع تسميته بذلك العلاقة المتداخلة مع مفهوم التربية عنده، رغم هذه العلاقة المتداخلة والمتكاملة لا يمكن أن نقول في ذلك أن كل

[1]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 206.

[2]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص197.

مصطلح أو مفهوم يحمل في طياته نفس المعاني التي تحملها التربية، بل لكل مفهوم معاني ودلالات ذات الأبعاد المختلفة، ويكون ذلك حسب السياق الكلامي والمعرفي، فالتربية عند "مالك بن نبي" تستقي جذورها من المجتمع وينضج ثمارها بما يسميه مالك بن نبي " الفكرة الدينية"، حيث أن على غرار ما ينمو ويتطور المجتمع وتكتمل مع ذلك النمو وتنضج الروابط والعلاقات الاجتماعية فالمبدأ الأخلاقي لا يتوقف عن مراعاة السلوك أو القيم والمبادئ الأخلاقية فقط، بل يتعدى ذلك إلى أبعد الحدود، فالفكرة الدينية لها أبعادها المختلفة وأهميته القصوى في المجتمع وهي تعد ركيزة الأفراد في المجتمع الواحد ومن خلالها يتجدد البناء والتغيير ويتحضر المجتمع بما فيه.(ليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع على عالم الأشخاص، وعالم الأفكار وعالم الأشياء وليست هي من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم دون أن يسلموا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع خيرا أو شرا...بل هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ).[1]

- **التربية كعملية:** (التربية هي عملية تعليم وتعلم لأنماط السلوك الإنساني)[2]، أي أنها تقوم بتعليم الأفراد مختلف المهارات وإكتسابهم خبرات، وتقوم كذلك بتعديل السلوك مع إختيار المنهج الصحيح الذي يسلكه أفراد المجتمع لكي ينتج لنا أفراد صالحين تربطهم علاقات الإخاء والتعاون والتكافل.

[1]- محمد بغداد باي، مرجع سابق، ص 134.

[2]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 197.

- **التربية كمشكلة:** نجد "مالك بن نبي" في مختلف مؤلفاته التي كانت وجاءت بعنوان مشكلات الحضارة وكانت هذه الأخيرة تركز على عامل أساسي ألا وهو الإنسان، بإعتباره الهدام والبناء وصاحب التغيير، ولهذا نجد "مالك بن نبي" إتخذ من الإنسان محور دراسة وبحث وتحليل، لأنه (هو يعتبر الإنسان في المجتمع الإسلامي هو المسبب وأصل طرح وتواجد المشكلات الحاصلة) التي قد تحدث ولا يكون للمؤسسات الفاشلة أو النظام السياسي الفاشل له دخل في ذلك بإعتبار أن بين فشل النظام السياسي أو المؤسسات بسبب الإنسان لأن هو من يتولى قيادتها، وما علينا إلا أن نبتعد بقدر المستطاع عن عوامل تؤدي إلى الركود والجمود الفكري وما في ذلك التقليد الأعمى الذي يعتبر عامل من عوامل وقوع الإنسان في أكبر مشكلات الإنحطاط والفقر والتخلف، وسعى دائما نحو حلول إيجابية تقودنا نحو نتائج نخرج من خلالها من أزمة التخلف هذه متجهين نحو بوادر الرقي والتقدم والتحضر:(لا نواجه تغيرا في النظام السياسي، بل أن التغير يصب الإنسان ذاته، الإنسان المتحضر الذي همته المحضرة فأعجزه فقدها من التمثيل والإبداع، وليس من الصواب أن نبحث عن النظم، بل عن العوامل الإنسانية المتمثلة في عجز الناس عن تطبيق مواهبهم الخاصة على التراث والوقت، إن التركيب الأساسي نفسه قد تحلل فتحللت معه الحياة الإجتماعية وأحلت مكانها للحياة البدائية)[1]

- **التربية كتنشئة إجتماعية:** إن مفهوم التربية عند مالك بين نبي ما هي إلا قيمة إجتماعية، تعمل على تحقيق التنشئة الإجتماعية وضبط السلوك وتنميته، فالتربية عنده تبدأ مع ولادة الفرد وتستمر معه ولا تنفصل عنه إلا عند وفاته، والتربية من منظورها الإجتماعي وهي في تصور" مالك بن نبي" تمر بمراحل البيولوجية ومرحلة الإنسان الإجتماعي حيث في هذه المرحلة يكتسب سلوكات إجتماعية لما فيها من عادات وتقاليد وأعراف إجتماعية

[1]– مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 36.

متفق عليها، وعليه يصبح عضو فعال في المجتمع ويحتل مكانة إجتماعية عالية وذلك بفضل ممارسته لأدوار إجتماعية وهنا يكتمل البناء الإجتماعي ويوضع المجتمع كل فرد من أفراده حسب لغاياته الخاصة به: هذا ما قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم:« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[1]

– إعتمد مالك بن نبي في بناء مشروعه التربوي على قيم ومبادئ أخلاقية وإسلامية نابعة من معايير دينية، وذلك برغبة في تقريب الصلة والعلاقة بين الله وعبده، وتقوي كذلك العلاقة التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان علاقة تقوم على العدل والتعاون والتآزر:« إن الفكرة الدينية تحدث تغيرها حتى في سمت الفرد ومظاهره، حيث تغير في نفسه، وبذلك يكون منهج التربية أثره في تحميل ملامح الفرد، أي أن مجموعة من الإنعكاسات تؤدي إلى خلو صورة جديدة كأنها تتمثل في وجه جديد »[2]

تكلم "مالك بن نبي" في مؤلفه " ميلاد المجتمع" عن مصطلح التربية الإجتماعية وكان هدفه من وضع هذا المصطلح، على أن الإنسان يستقي سلوكاته من المجتمع، فالتربية الإجتماعية تعمل على تغيير الإنسان وبالتالي يؤدي ذلك إلى تغيير المجتمع تعمل التربية الإجتماعية على كيف يندمج الإنسان في وسط المجتمع، وكيف يبني علاقاته الإجتماعية مع أفراد مجتمعه ويكتسب ثقافة مجتمعه، وبالتالي ينتج لنا أفراد متحضرين وهذا ما يؤدي إلى النهوض والبناء الحضاري حيث قال عن ذلك "مالك بن نبي": « يمكن أن تكون موضوع التربية الإجتماعية، إذ يجب أن نغير أساسا الصفات النوعية الخاصة بالفرد، إلى صفات إجتماعية تحدد معالم (الشخص)، أعني تغيير الطاقة الحيوية المنطلقة بواسطة

[1]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 206، 207.

[2]– ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 80.

الغرائز إلى طاقة إجتماعية خاضعة لمراقبة نظام الإنعكاسات المتكونة لدى الفرد بفضل تكيفه »[1]

إن جوهر التربية الاجتماعية عند "مالك بن نبي" هو الإنسان، بإعتباره المخلوق المكرم من الله، فهو البناء والهدام في نفس الوقت، فلا يمكن للمجتمع أن يتغير إلا إذا تغير الإنسان وتربيته وفق تعاليم الدين وعلى قواعد أخلاقية إسلامية وعلى ثقافة إجتماعية يتحلى بها أفراد مجتمعه لتحقق في ذلك تواجده الإجتماعي المشترك« فتحمل التررببة على تغيير ذات الإنسان من فرد غرائزي إلى شخص مكيف ضمن النشاط المشترك»[2]

– التربية عند "جون ديوي" يعرّفها **كالآتي:** « تتم التربية بصفة لا شعورية عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر »[3]

ويرد "مالك بن نبي" قواعد التربية الإجتماعية، إلى علم التاريخ وعلم الإجتماع ، أي ولو أخذ قواعد علم التاريخ على سبيل المثال لوجدنا قواعده ثابتة لا تتغير لا بتغيير الزمان ولا المكان، حتى وإن تغيرت المجتمعات في حد ذاتها حيث قال في ذلك "مالك بن نبي": « ومنهجنا الذي اتبعناه حتى الآن يرجع بالتحديد إلى التاريخ، وذلك كي نستخرج هذه القواعد في صورتها النظرية، هذه القواعد هي ثوابت التاريخ تلك التي لا يغيرها الزمن على حين يغير المجتمعات إن نهضة مجتمع ما تتم في الظروف العامة نفسها التي تم فيها

[1]– ميلاد المجتمع، مصدر سابق، ص 81

[2]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 276.

[3]– زيرق دحمان، مرجع سابق، ص 14.

ميلاد كذلك يخضع بناؤه وإعادة هذا البناء للقانون نفسه »[1]، وهذا ما عبر عنه سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم: « لا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أو لها »[2]

ويعتمد مالك بن نبي في إقامة وبناء مشروعه التربوي الاجتماعي على نظام تربوي مأخوذ من مادة ومعايير وقيم سلوكات مكتسبة من المجتمع حيث قال عن ذلك:« لكي يمكن بناء نظام تربوي إجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة، عن العلاقات والإنعكاسات التي تنظم إستخدام الطاقة الحيوية في مستوى الفرد وفي مستوى الجميع »[3]

جعل مالك بن نبي في بناء نظامه التربوي الإجتماعي على نظم دينية حيث جعل الفكرة الدينية تلك الركيزة للنهوض والرقي، فالبدين يتغير الإنسان وما يؤدي إلى تغيير المجتمع من خلال ضبط وتهذيب النفس وضبط شهوات الفرد وغرائزه وتنظيمها وفي نفس السياق الذي يذهب إليه" فرويد" أو ما يطلق عليه بالكبت، وفي هذه العملية الشرطية ليس من شأنها القضاء على الغرائز بل تتولى تنظيمها مع مقتضيات الدين، وعليه يتحرر الفرد بشكل جزئي من قانون الطبيعة المفطور عليه ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نصه، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح[4]

[1]- ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 75- 76.

[2]- المصدر نفسه، ص 76.

[3]- المصدر نفسه، ص78.

[4]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 279.

في ظل وجود الدين ومبادئ والسير وفق مبادئه ومناهجه نبني أفضل مجتمع يتحلى أفراده بروح التعاون والتضامن، وبذلك تنمو العلاقات ونحقق شبكة العلاقات الاجتماعية وهذا ما أوحى به قوله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد يبعضه بعضا »[1]

ومنه بهذا التصور نكون قد سرنا في طريق البناء نحو معلم التغيير والنهوض الحضاري لأن التربية الإجتماعية عند "مالك بن نبي" قوامها الدين والقيم الأخلاقية بإعتبارها الدافع أو الركيزة القوية لخلق أفضل السلوكات الإجتماعية تسارع في البناء والتقدم وهذا ما يؤدي بدوره إلى التحضر.

1/ أبعاد التربية عند مالك بن نبي

- البعد الجمالي:

يرى "مالك بن نبي" من خلال هذا البعد بأن الجمال هو ذلك الركيزة أو ذلك الإطار الذي تتشكل منه الحضارة[2]، ومنه يمكن أن نعتبر أن الجمال له تلك القيمة أو الدور الكبير والفعال في الحياة الإجتماعية، فهو المرجعية لجميع الأفكار ومن خلال هذه الأفكار يتصرف الإنسان، فالذوق الجمالي إذا إنطبع في فكر الفرد يترك بذلك أثر كبير في النفوس الإنسانية حيث يتجه على غراره الفرد دائما إلى طريق الإخلاص والخير، والإحسان في العمل والخير والإحسان.

وقد جعل "مالك بن نبي" تداخل وترابط بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي أي أن التوجه الجمالي يتطلب ويستلزم أولوية المبدأ الأخلاقي بإعتباره المقوم الأساسي الذي تنهض عليه التربية الجمالية(إذا كان التوجيه الغربي في الثقافة الغربية لا يمنع من تصوير جسد المرأة

[1]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 57.

[2]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 85.

وهي عارية، فإن القيمة الأخلاقية المستمدة من الإسلام لا يسمح للتربية الجمالية أن تنهج هذا الإتجاه)[1]، بمعنى ذلك أن التربية الجمالية الإسلامية لا تتعدى ولا تتجاوز حدود ومبادئ القيم الأخلاقية في ذلك ويبقى المبدأ الجمالي الأخلاقي أساس البناء الحضاري أو على أساسه تتشكل الحضارة كما يقول "مالك بن نبي" عن ذلك:« إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة فينبغي أن نلاحظ في أنفسنا، كما ينبغي أن تتمثل في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا مسحة الجمال التي يرسمها مخرج رواية في منظر سنمائي أو مسرحي »[2]

- البعد العملي للتربية:

إن وظيفة التربية والغاية القصوى منها هو ضبط سلوك الفرد، وفق مبادئ أخلاقية وذلك من أجل حماية المجتمع وأفراده من الإنحلال ونبذ جميع الظواهر السلبية التي تؤدي إلى تفككه، وتكون بذلك مهمة البعد العملي للتربية يتمثل وينحصر في نقل الأنماط السلوكية والثقافية بين أفراد المجتمع الواحد، وعملية النقل هذه لها وظيفتها الإجتماعية وغاية قصوى منها، حيث أنها تساهم في تطوير العلاقات وغرس روح التعاون والتفاهم بين أفراج المجتمع (عملية النقل عملية إجتماعية ضرورية لإستمرار النسيج الإجتماعي).[3]

ويمكن أن نجعل ضمن البعد العملي للتربية " المنطق العملي" والذي يكون مرتبط بفعالية الفرد وعمله ونشاطه، وإذا إفتقدت التربية من المنطق العملي، يؤدي ذلك وينجم عنه صعوبة في ترتيب الأفكار وبالتالي عجز في الإرادة والإنتباه، وهذا ما قد عبر عنه "مالك بن نبي":

[1]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 257.

[2]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 85.

[3]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 258.

« لذا لابد الوسائل البيداغوجيا ليست هذه الفكرة في السلوك الفرد وفي أسلوب الحياة في المجتمع »[1]

وتظل التربية في أمس الحاجة إلى المنطق العملي، وذلك لتجعل منه مبدأ لجميع نشاطاتها، وفق مبادئ فاعلية الفرد.

- البعد النفسي و الفني للتربية:

أ/ البعد النفسي:

يحتل هذا البعد مكانة هامة وكبيرة في العملية التربوية حيث تتخذه التربية كقوة، فهو شديد الإلتصاق بالتربية يدخل في تفاصيل البناء والإنشاء مع مراعاة الجوانب التي تتحقق فيها راحة الفرد حيث قال:« وإشاعة الأمن والإطمنان وتحقيق الإنشراح والسعادة وتحقيق النصر والتمكين »[2]

سعى مالك بن نبي في إيضاح أهداف وغايات البعد النفسي في العملية التربوية حيث عمل على تفسير وتحليل مصطلحات التحليل البعد النفسي للتربية كالشعور واللاشعور...الخ ونجده يركز على التحليل النفسي بإعتباره بعد تربوي يمكن الإعتماد عليه وقد أضاف "مالك بن نبي" وإعترف على ذلك في كتابه " شروط النهضة" في قوله التالي:« أثر الفكر الدينية في مركب الحضارة سالكا هذه المرة مسلك التحليل النفسي الذي يبين بوضوح أكبر جانب من الظاهرة في الموكب إذ يكشف لنا عن التأثير المباشر للفكرة الدينية في خصائص الفرد النفسية »

[1]- المرجع نفسه، ص 258.

[2]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 259.

وعليه فإن الدين يبقى مقوم أساسي من مقومات النهوض والبناء الحضاري، أي أن الدين له تأثير وفعالية في نفسية الفرد وبذلك يتحقق البعد النفسي للتربية ويشبع قلبه أمنا وإطمئنان.

ب/ البعد الفني:

يلامس "مالك بن نبي" من خلال هذا البعد الذوق الجمالي والذي ينطبع في النفس الإنسانية، فيمكن لذات الإنسانية، أن تحدد معالم التربية حيث يقول مالك بن نبي:« إن ذاتيتنا تؤدي دورا رئيسيا في تحديد التربية وفي رسم خصائصها لكن إثراء هذه الذاتية لا يقتصر على الأشخاص والأفكار التي تكون المجال الروحي، فإن لدينا حوارا آخر مع الطبيعة التي تنقل إلينا رسالتها المكتوبة بأبجدية ملغزة أيضا، هي: أبجدية الألوان والأصوات والروائح والحركات والظلال والأضواء والأشكال والصور هذه عناصر الطبيعة تتجمع في نفسيتنا ثم تذوب وتهضم في صورة عناصر ثقافية تندمج في وجودنا الأخلاقي وفي بنائنا الأساسي »[1]

ويعطي "مالك بن نبي" دور هام للبعد الفني في العملية التربوية وتتجه النفس له وترتاح صوبه، لأن "مالك بن نبي" يريد أن يجعل حياتنا شبيهة بتلك بجمال الطبيعة في بهاء وخلابة منظرها، "فمالك بن نبي" يربط البناء والإنجاز الحضاري بالبعد الجمالي والفني فالجمال في تصوره هو ذلك الإطار التي تنشأ من خلاله الحضارة، حيث قال:« نلاحظ في نفوسنا وأن تتمثل في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا مسحة الجمال نفسها، التي رسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي »[2]

[1]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 56.

[2]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 102.

فنجد أيضا البعد الفني له إرتباط بنشاطات الأفراد المتعددة مثل الفنون والحرف الأخرى الصناعة.

فالبعد الفني له إرتباط بالحياة الخاصة والعامة لأفراد المجتمع، وهذا ما قد يؤدي ويساهم في تصور وبناء أفضل حضارة تكون متكاملة الجوانب.

- البعد التنموي للتربية:

يرجع "مالك بن نبي" فكرة التنمية في بعدها التربوي على عوامل تعد في حد ذاتها ركائز والتي تنشئ من خلالها هذه الركائز قواعد إلزامية فعالة ونتجاوز من خلالها جميع أشكال التخلف في جميع الأبعاد السياسية والإقتصادية وخاصة الإجتماعية والفردية ولكن يكون ذلك وفق طابع تربوي متفق عليه ليتخذه في ذلك منهج من مناهج الحياة الإجتماعية ويعد تنمويا يقول "مالك بن نبي" في هذا الإتجاه:« فحينما نريد أن نكون مجتمعا يقدم الضمانات الإجتماعية للفرد ويؤيد الأمن في العالم، أو أننا نريد أن ندرس قضايا مجتمعنا إقتصادية كانت أم إجتماعية، فإن شروط وصولنا إلى تحقيق هذا كله في شروط الحضارة بل إنه لا يمكن أن تتبع هذه الشروط إلا من الحضارة، ولا يمكن أن تحقق إلا في إطارها »[1]

يرى "مالك بن نبي" لكي نبني حضارة يجب في بداية الأمر التخلص من جميع أشكال وأنماط التخلف التي تؤدي إلى تدهور الأوضاع وعرقلة النمو والبناء ورغبة في ذلك بأن تحقيق التقدم والإزدهار وبناء مجتمع متحضر وبالتالي يؤدي في مساره إلى تحقيق الرفاه الإجتماعي ويجب أن تتخذ من الفعالية دورا مهما بإعتبارها قيمة مهمة، أصبحت تمثل

[1]- طاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهادي، ط1، 2006، بيروت، لبنان، ص 203.

المعيار الراجح في جدول قيم عصرنا، و بإعتبارها أيضا أهم القيم التي يجب على البلدان التي تعيش اليوم حالة التخلف أن تشرحها »[1]، أي أن الفعالية وشروطها تأخذ تلك الطابع التربوي وعليه فإن الفعالية تأخذ من أسلوب وأنماط حياة أفراد المجتمع بعدا تنمويا ويرى "مالك بن نبي" بأن مشكلة الثقافة لها جانب وبعد تربوي وعليه تبقى قضية وتوجيه أفكار ويعرف "مالك بن نبي" فكرة التوجيه وهذا قد تكلم عنه في قوله:« التوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت والتركيز الطاقات والإمكانيات وإستغلال ما هو متاح من أجل تحقيق الغايات والأهداف المرجوة »[2]، ويقول كذلك:« فهناك ملايين السواعد والعاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة أن تستخدم في كل وقت والمهم أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروف الزمنية والإنتاجية »[3]

- البعد المدني (التحضر) للتربية:

نجد مالك بن نبي في جل مؤلفاته وكتاباته قد إهتم إهتمام كبير بالجانب الحضاري فقد كانت غاياته بناء مجتمع متحضر ومتقدم والخروج بالإنسان وبفكره من جميع زوايا التخلف والإنحطاط نحو التقدم والتطور، ويربط "مالك بن نبي" بعد التحضر في التربية بالمبدأ الأخلاقي حيث يجعل منها الركيزة أو بداية الإنطلاق في تحليل وتغيير ومعالجة فكرة التحضر للتربية وجعل من قضايا الثقافة والمشكلات التي قد تقع فيها وذلك رغبة في منهجا تربويا وذلك من أجل تحقيق أسمى معاني التقدم والنهوض الحضاري وهذا ما نجده بارز في قوله:« فالأخلاق هي التركيب التربوي للعناصر الثقافية للتحقيق نهضة حقيقية »[4]

[1]- المرجع نفسه، ص 212.

[2]- المرجع نفسه، ص 209.

[3]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 67.

[4]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 265.

فلا نستطيع القول بأننا قد حققنا بعدا مدنيا للتربية، إلا إذا كان خالي من التبعية وبعيد عن التخلف ويكون ذلك إلا بإفراز العادات والتقاليد من جميع الآثار والمخلفات والبقايا القديمة التي قد تعرقل الدورة التاريخية وتعكس النمو والتقدم بعيد عن التبعية والتخلف ولا يكون ذلك إلا بتحديد الأوضاع بطريقتين:

1- سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.
2- إيجابية تصلنا بالحياة الكريمة.[1]

- البعد العقدي والتعبدي للتربية:

يبني "مالك بن نبي" الأسس التربوية على أساس الفكرة الدينية، ونجد ذلك واضح وبشكل مباشر مصرح به في كل مؤلفاته يردد بها كثيرا، لأنه يجعل منها ركيزة في البناء الحضاري وفي بناء وتوطيد العلاقات الإجتماعية، وتكمن أهمية الفكرة الدينية في العديد من المجالات ونلاحظ ذلك في ما يلي حيث قال:« تشترط الفكرة الدينية سلوك الإنسان حتى تجعله قابلا لإنجاز رسالة (محضرة) غير أن دور الفكرة الدينية لا يكتفي بالوقوف عند هذا الحد فهي تحل لنا مشكلة نفسية إجتماعية أخرى، ذات أهمية أساسية تتعلق بإستمرار الحضارة »[2]

تتمثل الأبعاد التي يريد "مالك بن نبي" التأكيد عليها وهي عبادة الإنسان لله سبحانه وتعالى والإيمان به وعدم الشرك به وتنفيذ أوامره وإجتناب والإبتعاد عن جميع الأمور التي نهى عنها لأن في إتباعها يكون إبتعاد عن حب الله ومرضاته وللدين جانبين جانب غيبي وجانب إجتماعي

[1]- مرجع نفسه، ص 266.
[2]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سبق ذكره، ص 71.

1/ الجانب الغيبي: وهو تلك العلاقة التي تربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى وهو الركن الأساسي في الحركة الإجتماعية.

2/ الجانب الإجتماعي: ويعد هو جوهر العلاقة التي تصل مع الله في المجال الإجتماعي ونجد الجانب الغيبي والإجتماعي متماسكان ولا ينفصلان.

ونجد الجانب الغيبي مرتبط بالجانب الإجتماعي ومترتب عنه، وعليه « فالفكرة الدينية لا تقوم بدورها الإجتماعي إلا بقدر ما تكون متمسكة بالقيمة الغيبية» [1]

فالفكرة الدينية تساهم في ربط العلاقات بين الأفراد وتوطيدها وتلد بينهم علاقة الإخاء والحب والرحم « فالعلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الإجتماعية وهذه بدورها تربط مابين الإنسان بأخيه الإنسان »[2]

و يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الإجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنهما حدث ومن الوجهة الكونية على أنهما عنوان للحركة تطور إجتماعي واحد.[3]

ويمكن القول بأن الجانب الإجتماعي والجانب الديني قد يلتقيان من الوجهة التاريخية والكونية ولا يمكن الفصل بينهما ويعدان وجهان لعملة واحدة، أي يسعيان لنفس المبتغى ونفس الهدف وهو تطوير الحركة الإجتماعية.

"فمالك بن نبي" يعتمد في تفسيره وتوضيحه للبعد الديني للتربية على المثال المقتبس من السيرة النبوية، والذي نجده عند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلا لا نستطيع ملاحظة النبوة إلا من خلال شهادة النبي، وفي محتويات رسالته المتواترة المنزلة:« فالأمر يتعلق

[1]– عابد الميهوب، مرجع سبق ذكره، ص 267.

[2]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 56.

[3]– المصدر نفسه، ص 56.

إذن بمشكلة نفسية من ناحية وتاريخية من ناحية أخرى ولنا أن نلاحظ أولا وقبل كل شيء أن بعث نبي ما حدثا فرديا، ليكون غريبا نادرا بل هو العكس من ذلك ظاهرة مستمرة تتكرر بإنتظام بين قطبين، التاريخ منذ إبراهيم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإستمرار ظاهرة تتكرر بالنتيجة نفسها، يعد شاهدا علميا يمكن إستخدامه لتقرير مبدأ وجودها، بشرط التثبيت من صحة هذا الوجود بالوقائع المتفقة مع العقل ومع طبيعة المبدأ »[1]

فقد يبقى محمد صلى الله عليه وسلم ذلك المثل الأعلى والأعظم الذي تقتدي به الأمة الإسلامية في جميع مجالات حياتها، فهو مثال في السلوكات والعلاقات الإجتماعية، فعند التمسك بسيرة نبينا والسير على عاتقها نصنع ونحقق قيم أخلاقية وخلقية ونتحلى بالصبر والشرف والشجاعة ونصنع مجتمع يتصف بسلوكات الفضيلة والحميدة مما يحقق بدوره علاقات إجتماعية وطيدة:« فلم يصنع الرسول نفوسا مؤمنة فحسب وإنما صنع عقولا مستنيرة وطرق إرادية فولاذية، إنه ينمي الشعور بالمسؤولية ويشجع المباداة في كل إنسان يعظم الفضيلة، في أبسط صورها وإن هذا التأسي والمسارعة لهما رائد كل عضو في الجماعة، إذ يرى نفسه في السياق إلى الخير أمر القرآن»[2]

أي أن الفكرة الدينية ساهمت في توطيد العلاقات الإجتماعية« شبكة العلاقات الإجتماعية » وساهمت كذلك في تحقيق التآزر والتعاون والتوازن بين أفراد المجتمع الواحد.

– **البعد الوطني للتربية:** تعتبر التربية قبل كل شيء عملية تثقيف، كما أنها تعد أداة ووسيلة لنقل الثقافة وتداولها بين أفراد المجتمع، فالتربية تعد تلك الحاجة اللازم تواجدها فهي

[1]– مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، (تر) عبد الصابور شاهين، دار الفكر ' ط4، 1987، دمشق، سورية ص87.

[2]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 268.

بمثابة الحاجة الأولية الضرورية في الحياة تساهم في عملية إكتساب وتنمية سلوكات الأفراد في وسط المجتمع الواحد، ولهذا يمكننا القول بأن التربية عملية ضرورية إجتماعية لا يمكن الإستغناء عنها.

نجد " مالك بن نبي" في مؤلفه القضايا الكبرى، تكلم عن مصطلح المفهومية، والذي تطرق من خلال هذا المصطلح إلى الحديث عن إعطاء وجهة نظره عن العمل الجماعي أو العمل البشري ويرى بأنه مهما يكون عمل جماعي وتتحد فيه القوى الإجتماعية، إلا أنه يبقى دائما عمل فيه شوائب ونقائص ويبقى نسبيا وحيث قال في هذا الصدد:« وقد أتيح لنا في الجزائر أن نلاحظ أن النشاط الفردي والنشاط المشترك في فسحة زمنية قصيرة نسبيا ضمن مرحلتين مختلفتين: طوال الثورة وبعدها، فقد إقتادت الثورة الجميع إلى نشاط جماعي مسلح إنخرط ضمنه كل فرد بنشاطه الخاص وعقب سنة 1962م حدث كما لو أن الثورة قد أشلت شعلتها من نشاط الفرد، فنحن لكي نضطلع بالعمل على المستوى الوطني، وهو العمل الذي يقتضيه بناء حضارة، وتسند عليه مهام ثقافة، تظل تفتقد بالفعل» [1]

ونجد أن رئيس الدولة السابق قد صرح بذلك في قوله:« إننا نمتلك برنامجا، ولكننا لا نمتلك مفهومية» ، ويطلق عليه سقراط بـ " مغترسي الأفكار".

« والجزائر تمثل بلادا فتية يتعين عليها أن تجد الدافع المحرك سياستها في علاقتها الوظيفية بشروط التاريخية المحرك الخاصة، وبتعبير آخر يجب عليها أن تجد بمجهودها الخاص أفضل الوسائل والطرق الملائمة لشروطها مع العلم بأن ما يكون ممكنا ببلاد في طور من الحضارة متقدم في قليل أو كثير قد لا يكون كذلك دائما ببلاد لا تزال في فجر حضارة أعني عندما يتعين الإنطلاق من الصفر، فكر شعب يجب أن يصنع تاريخه بوسائله

[1]– مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، دار الفكر، ط1، 1991، دمشق، سورية، ص 95.

الخاصة وبأيديه ذاتها والتاريخ في أي مستوى من الحضارة يتم إنجازه إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء والأشخاص والأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات، أي في نفس الأوان الذي يواكب عملية إنجازه »[1]

« إلا أن نشاط المجتمع المشترك لا يتكون في بساطة من مجرد مجموع النشاطات الفردية حتى ولو كانت هذه الأخيرة من نفس الجنس، وحتى لو كانت متحدة كلها في نفس الإتجاه وإذ يجب أيضا أن يتم تنظيمها في كنف النشاط الإجمالي حسب مخطط تنظيمي يتولى تحديدها فعالية هذا النشاط، فهذه النشاطات الفردية بالذات في كنف نشاط إجمالي مشترك هو الذي يضع على وجه الدقة مشكلة المفهومية »[2]

وعليه فإن" مالك بن نبي" يحاول من خلال هذا المفهوم الإديولوجي أن يجد تفسير وتوضيح لمفهوم الإديولوجية الجزائرية التي تمارس نشاطها الوطني في شكل مشترك، حيث تقوم بتطوير وتوطيد تلك العلاقات الإجتماعية حيث تقوم التربية هنا وفق قالب جماعي تتطور وتنمو العلاقات مما يؤدي إلى تشكيل ما يطلق عليه " مالك بن نبي" بشبكة العلاقات الإجتماعية.

ونجد أن المفهومين الحرية والعمل يشكلان مواضيع التربية الوطنية ويحتلان المكانة البارزة في محاورها، ويكون ذلك بوضع مناهج وقواعد إشتراكية يشترك ويتداخل فيها أفراد المجتمع الواحد وعليه فإن العمل لا ينحصر في تلك الزاوية الضيقة له بل يجب أن يتعدى كل الحدود والبحث عن لقمة العيش بغية البقاء على قيد الحياة، ونجد الحرية تأخذ من نفس السياق ولا يقصد بها الحرية الشخصية بل تكون بداياتها وإنطلاقاتها الأولية من مبدأ نظام العام للعمل الجماعي وهذا ما قد صرح به " مالك بن نبي" في قوله التالي:« وقد جاءت كل

[1]– نفس المصدر، ص 98.

[2]– نفس المصدر، ص 100.

الديانات وأعني هنا جميع المفهوميات الدينية لترويض الطاقة الحيوية للإنسان وجعلها مخصصة للحضارة وبناء على ذلك يضع الدين الحرية الفردية بين حدود عمل المجتمع ومقتضيات الحرية الخاصة بهذا المجتمع، وتتمثل خاصية المفهومية السياسية في ترسيخها لمثل هذا المبدأ بقراره الفرد تجعله يدرك كيف ينخرط في حرية[1].

بحريته ونشاطه الفرد يبين داخل حرية المجتمع ونشاطه المشترك وحرية بلاد ما إنما تشاد مع مثل هذه التقيدات للحرية الفردية ثم يتبقى لهذه البلاد أن تختار جنس هذه التقيدات وذلك إما بفرضها عن طريق الإكراه الحكومي(الذي يخدم مصلحة الدولة على ما عداها)، وإما بترسيخها في الأفراد عن طريق تربية كل فرد بصورة تجعل سلوكه واضحا لمراقبة وازعه الأخلاقي الخاص.

– وفي قوله آخر يقول:« قد أعرب الشعب الجزائري عن وجهة نظره في هذا الموضوع بتبنيه للمبدأ الديمقراطي في دستوره، ولذا يجب على التربية الوطنية أن تفهم الجيل الفتي أن درب الحرية يمر بين أقصى طرفين هما:

1/ المحافظة المفرطة التي تفضي إلى تحجر الفكر داخل الغشاوة السياسية .

2/ تعتمد على(عدم المحافظة) بطريقة منهجية مما يؤدي إلى فوضى الأشخاص والأشخاص والأشياء والأفكار، وبالتالي إلى إنفجار الإطار السياسي.

وهذا ما ينتج لنا في إحدى الحالتين: نصل إلى نموذج من المجتمع المتراصف النضد العاجز عن التقدم كما كان المجتمع الهندي والصيني طوال قرون طويلة، وفي الحالة الأخرى نؤول إلى نسق من المجتمع المدرذر(المفكك الذرات) كما كان المجتمع العربي

[1]– نفس المصدر، ص 110.

الجاهلي مجتمعا عاجزا على الإضطلاع بنشاط مشترك، وبالتالي محكوما عليه بأن يقبع على هامش التاريخ »[1]

العلاقة بين التربية في الجزائر والتربية عند مالك بن نبي:

العلاقة بينهما علاقة تكاملية تلازمية، حيث أن التربية في الجزائر تقوم على الضرورة الإجتماعية وعلى العمل والنشاط المشترك والجمالي مما يحقق التمسك و الإيخاء الإجتماعي، وتحقق بدوره شبكة العلاقات الإجتماعية وتحقيق الإصلاح والنهوض الحضاري (إن النظام التربوي في الجزائر شهد تحولات جوهرية منذ أن نالت الجزائر إستقلالها سنة 1962م، غير أن التربية والتعليم في الجزائر عميق الجذور من بدايات الفتح الإسلامي للجزائر، فالتربية في الجزائر مرجعها الدين الإسلامي وتمسك الشعب به وتعبدا وتقربا لله)[2]

فالتربية في الجزائر أسسها وأهدافها وغايتها ومبادئها العامة التي تقوم عليها هي الوصول بالمجتمع إلى مصاف الدول المتقدمة، فالإصلاح ضرورة لا بد منها ومطلبا إجتماعيا ملحا لا بد من الإستمرار لتنقيح المناهج وتحديث أساليب ومقاربات الفعل التربوي لنجاح عملية الإصلاح دون الإبتعاد عن مقومات الأمة تاريخا وحضارة وفكرا.

فالدين كان ذلك الدافع العفوي للجزائريين على تربيتهم على مبادئ أخلاقية سامية ونبيلة فالمبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام التربوي في الجزائر وعند مالك بن نبي (تنمية شخصية الأطفال والمواطنين وإعدادهم للعمل والحياة، وإكتساب المعرف العامة والعملية

---

[1]– نفس المصدر، ص 110–111.

[2]– إبراهيم هياق، **إتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو الإصلاح التربوي في الجزائر**، أساتذة متوسطة أولاد جلال وسيدي خالد نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: علي بوحناقة، قسم علم الإجتماع كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2011، قسنطينة، ص 159.

والتكنولوجية و الإستجابة للتطلعات الشعبية للعدالة والتقدم وتنشئة الأجيال على حب الوطن)[1]

فالتربية عند مالك بن نبي وفي الجزائر تربطهم علاقة وطيدة وتكاملية، حيث أنهما ينبعان من نفس المنبع وهو الدين أو الفكرة الدينية (الفكرة الدينية التي تستطيع أن تدمج الفرد ويسجل نشاطه في التاريخ وبذلك هو التكيف الذي يجعل الفرد أهْلاً لأن يتخذ مكانة ولأن يقوم بدوره في المجتمع أي أن ينبغي أن يحدد العلاقة التي يحتمل أن تكون بين مجموعة من الأفكار المعكسة المنظومة سلوك الفرد، وبين شبكة العلاقات الإجتماعية التي تتيح لمجتمع (...) فإن هناك تبادلا بين الإنعكاس الفردي والعلاقة الإجتماعية وبفضل هذا التبادل ينبغي أن نتوقع تدخل الواقع الديني في الجانب الجديد من المسألة)[2]

وعليه فقد كانت العلاقة بين التربية عند مالك بن نبي وفي الجزائر علاقة تكاملية، غايتها تحقيق العمران والتغيير والإصلاح والنهوض الحضاري، وتحقيق التجديد والتقدم في مجالات الحياة، وذلك يكون بتأثير عوامل ومرجعيات ومرتكزات قوامها مبادئ وقيم دينية.

2/ أهداف التربية عند مالك بن نبي

- أهداف دينية وروحية:

تكمن أولى أولويات وأهداف التربية على إنشاء مواطن صالح، وفق قيم دينية وروحية، حيث أنه إذا تمسك الإنسان بحبل الله والإيمان به، سوف تغرس في ذاته قيم إنسانية نبيلة تساهم هذه الأخيرة في بناء شخصيته وتعمل كذلك في إعداد الإنسان وفق خلق عظيم، وبها يكون قادر على الإنظمام في أي هياكل ومؤسسات أخلاقية والتكيف مع واقعه الإجتماعي، ويكون

[1]– المرجع نفسه، ص 136.

[2]– العابد ميهوب، مرجع سابق، ص 214.

بذلك يتصف بأسمى سمات التحضر والتغيير بواسطة العلاقة أو الصلة التي تجمع الإنسان بربه ينجر عنها علاقة أخرى وهي تلك العلاقة الإجتماعية حيث قال في ذلك "مالك بن نبي":« فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي تلد العلاقة الإجتماعية وهذه بدورها تربط الإنسان بأخيه الإنسان »[1]

ومن بين الصفات أو المتغيرات التي يجب العمل على تطويرها وتنميتها التي تسعى التربية دائما على تحقيقها لأنها تساهم في بناء كيان الإنسان، والتي بها يكون له الحق والقدرة الكاملة على الإندماج في أي منظمات تربوية أخلاقية وإجتماعية.

ومن بين هذه السمات أو المتغييرات نذكر أهمها:

1/ النمو الكامل للفرد[2]

2/ تكوين المواطن الصالح إلى تكوين الإنسان الصالح[3]

3/ غرس روح الإسلامية[4]

4/ مساعدة الفرد على التكيف[5]

- **الأهداف المعرفية:** وتتمثل في:

[1]- جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 50.
[2]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 225.
[3]- نفس المرجع، ص 226.
[4]- نفس المرجع، ص 231.
[5]- نفس المرجع، ص 231.

- **تنمية الروح العلمية والبحثية:** تقوم التربية عند مالك بن نبي على مجالين المعرفي والثقافي رغبة في تنمية وترقية الروح العلمية للفرد والمجتمع، وذلك رغبة في تحقيق مبدأ التقدم والتطور والخروج من دائرة الجهل والتخلف.

- **تكوين المنطق الرياضي لدى الفرد:** إذا خصصنا في فكر مالك بن نبي وفي كل مؤلفاته لوجدنا أنها مشبعة بالروح العلمية، ونجد أثر تكوين الروح العلمية ونجد أثر التكوين الرياضي والتخصصي العلمي بارز في معظم تحليلاته الإجتماعية و النفسية، ونجده قد إتبع منهجا يقينا يجمع بين:

1/ الجانب العقلي الديكارتي[1]

2/ الجانب الإستدلالي المستوحى من المنهج الرياضي الذي كان مالك بن نبي حريصا على تطبيقه في أبحاثه[2].

3/ الجانب التجريبي الإستقرائي المستوحى من العلوم الفيزيائية والطبيعية[3]

- **الأهداف الأخلاقية:** وتتمثل في:

- **أسطورة الجهل:** وتنص هذه الأسطورة على عجز الشعب الجزائري أو الطبقة المثقفة على محاربة الأمية، حيث أن أسطورة الجهل هذه هي واقع فرضه الإستعمار في وسط الشعب الجزائري، يعمل على نشر الأمية والجهل والإنحطاط الفكري للمجتمع الجزائري.

[1]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 247.

[2]- الرجع نفسه، ص 248.

[3]- المرجع نفسه، ص 248.

في حين كان الإسرائيلين يقومون بتوعية شعبهم في المقابل كانت الجزائر أثناء تلك الفترة تطالب بزيادة المدارس وإصلاح أوضاع التعليم.

- **أسطورة الفقر**: نجد أن المجتمع الآن أصبح يحقق أمواله وثرواته في جوانب تستوجب طاقات مالية كبيرة كالزواج والأفراح وأنواعها، ليسوا مراعين الجوانب التربوية العملية الفنية ولا بالتربية والعمل والنشاط الجماعي المشترك الذي مفاده يعود بالصلاح والبركة على أفراد المجتمع مثلا زيادة صندوق الزكاة وإنجاز وبناء مؤسسات خيرية وزوايا قرآنية لنشر القيم والمبادئ الأخلاقية ونشر مؤسسات تربوية كالمدارس لنشر العلم ومحاربة الجهل والفقر على حد سواء.

- **أسطورة الإستعمار**: جعل مالك بن نبي الإستعمار و أرجع أسبابه إلى عاملين هما:

عامل خارجي سببه الإحتيال الأخلاقية والسياسية، العامل الذاتي سببه قابلية للإستعمار مما أدى إلى خمولهم وركودهم في جميع المجالات(فالإستعمار ليس هو السبب الأول الذي عجز الناس وخمولهم في مختلف بلاد الإسلام(...) أي علينا أن ننظر إليها بوصفنا علماء إجتماع لا بوصفنا رجال سياسة، وسندرك حينئذ أن الإستعمار يدخل في حياة الشعب المستعمر بصفته المستعمر بصفته عاملا مناقضا، يعينه على التغلب على قابليته له حتى وإن هذه القابلية التي يقوم على أساسها الإستعمار، تنقلب إلى رفض لذاتها في ضمير المستعمر، فيحاول جهده التخلص منها، وليس تاريخ العالم الإسلامي منذ أكثر من نصف قرن سوى النمو التاريخي لهذا التناقض الذي أدخله الإستعمار على الأوضاع التي تخلفت في ظلها القابلية وإتسمت به[1]

[1]- المرجع نفسه، ص 244.

وعليه يمكن أن يتمثل الدور الأخلاقي للثقافة بإعدادها مشروع ونشاط تربوي حيث قال عن ذلك مالك بن نبي:« و الثقافة بما تتضمنه من فكرة دينية نظمت الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم– ليسوغ أن تعتبر علما يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به

وإطار يتحرك داخله، يغذي الحضارة في أحشائه، فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بما في ذلك من الحداد والفنان والراعي ... وهكذا يتركب التاريخ »[1]

تتميز وتتصف كل حضارة عن غيرها من الحضارات الأخرى، حيث أن لكل حضارة مبادئها ومعتقداتها وأساليب وأنماط معينة كالفنون والصناعات والعادات والتقاليد، والعامل الرئيسي لكل حضارة والمشكل لها، هو وعي الأفراد ومدى قوة تماسكهم وترابطهم بقيم ومعتقداتهم وبهذا الإرتباط يشكل حضارة، وفق قيم روحية وأخلاقية سامية « هذا الروح الخلقي منحة من السماء إلى الأرض يأتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات، ومهمته في المجتمع ربط ربط الأفراد بعضهم ببعض »[2]

أي بواسطة هذا الربط أو الوصل ألا وهو الدين بين الله وعبده، تخلق علاقة جد وطيدة وتحلي بقيمه وتجنب نواهيه وعليه ينشئ أفراد صالحين يتحلون بروح الإخاء وتخلق بينهم صفات وسمات المودة والمحبة فيتصلون بالمجتمع وبالإنسانية بمساهماتهم وإبدعاتهم في تقدم نوعهم، وبالتالي تتطور وتنمو ذواتهم القيم الأخلاقية والمعرفية التي تعد من بين الأهداف التي تسعى إليها التربية، ويربط " مالك بن نبي" الأهداف الأخلاقية والمعرفية.

[1]– المرجع نفسه، ص 245.

[2]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 79.

وتهدف التربية عند " مالك بن نبي" إلى تنمية الجانب الأخلاقي والمعرفي والثقافي إلى تنمية الروح العملية عند جميع أفراد المجتمع، ومنه يربط " مالك بن نبي" العملية التربوية بالجانب الجمالي، لأن له دور كبير في تشكيل وتهذيب النفس، وأعمال وأفكار المجتمع والفرد وذلك لأنه يجعل النفس تبتعد عن كل أشكال القبح، وكل ما يقرب إليه، ويصرح " مالك بن نبي" في قوله الأتي:« فالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكريم، من العادات »[1]

فالمبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي لهما دور في البرنامج التربوي ويرى " مالك بن نبي" أن هناك علاقة وطيدة قد تربط المبدأ بالذوق الجمالي، قد تؤثر هذه العلاقة في المجتمع، وقد تكون هذه العلاقة لها أبعادها المتعددة وأهميتها الإجتماعية.

إن هناك على الخصوص صلة بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي، تكون في الواقع علاقة عضوية ذات أهمية إجتماعية كبيرة، إذ أنها تحدد طابع الثقافة كلها وإتجاه الحضارة حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع وعلى سلوك الأفراد فيه.[2]

- أهداف إجتماعية وإقتصادية:

تلعب الفكرة الخلقية دورها الفعال في ميدان العلاقات الإجتماعية حيث يقول في ذلك " مالك بن نبي":« تعد القيمة الخلقية عنصرا جوهريا في النشاط المشترك الذي يتم بفضل وجود شبكة العلاقات الإجتماعية »[3]

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 91.

[2]- نفس المصدر، ص 101.

[3]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 48.

أي يمكن تسمية القيمة الخلقية بتلك القوة التي تعمل على تغيير وتساهم في تشكيل والبناء الحضاري وفي توعية وتنمية الحس الروحي والجانب الخلقي وهذا ما يؤدي بدوره إلى توفر تربية إجتماعية ووضع قواعد وشروط لكي نستطيع بناء مجتمع منتظم يتسم بأسمى معاني الإخلاص والتعاون والوفاء والتكافل ويمارس بذلك نشاطه وفق عمل إجتماعي مشترك.

أ/ المنطق العملي:

إن عملية التوجيه التي شاعت في فكر" مالك بن نبي" الثقافي يرى بأنها لا تكتمل إلا في وجود عامل أو جانب آخر وما يسمى هذا الأخير" بالمنطق العملي":« كيف إرتباط العمل بوسائله ومعانيه بطريقة يتمكن الإنسان بها من إستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة »[1]

أي أن المنطق العملي يكون مرتبط بفاعلية أفراد المجتمع، وتكون متجسدة وبارزة في تحركاتهم ونشطاتهم، فالمنطق العملي هو ذلك المنطق النفعي الذي يكون منسق ومحكوم وفق قواعد وقيم أخلاقية، وهو مبدأ أو جوهر الفعالية والتي بواسطتها تساعد المجتمعات التخلص من أزمة الإنحطاط وكل أنماط وأشكال التخلف، وبالتالي يكون هناك تنظيم وإنتظام في الحياة، فالمنطق العملي يساعدنا ويعلمنا كيف نربط العمل بوسائله ومقاصده وذلك حتى نستسهل أو نستعصب شيئا دون مقياس، يستمد معاييره من الوسط الإجتماعي وما يشتمل من إمكانيات، إنه ليس من الصعب على الفرد أن يصوغ مقياسا نظريا يستنتج به نتائج من مقدمات محدودة »[2]

[1]– لويزة العمري، مرجع سابق، ص 82.

[2]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 85.

ويجعل " مالك بن نبي" الفعالية مترتبة في عمل المنطق العملي فهي بمثابة الروح والدم الذي يسري في المنطق العملي، فكثيرا من الأحيان عندما تغيب الفعالية، نفتقد جانبا من الإرادة والجهد، وبالتالي نمارس أعمالنا بدون فعالية وهذا ما عبر عنه " مالك بن نبي" قائلا: « إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة »[1]

فالفعالية تساهم في توفير العقل التطبيقي الذي يؤدي هذا الأخير إلى توفير الإرادة وتنمية العقل وبالتالي تتحقق الغايات والأهداف المنشودة.

« إن الفعالية التي هي روح المنطق العملي من شأنه أن تنتج لنا العقل التطبيقي الذي يتجسد في الإدارة و بذل الجهد والمثابرة عليه من أجل تحصيل علم وإكتساب مهارة ومن أجل تنمية العقل وتفتيح الذهن وتحقيق الأهداف »[2]

وكما نجد أن الفكرة الدينية قد دعت إلى المنطق العملي وإعتبرته من ذوات مواضيعها حيث دعت إلى ضرورة والجدية في العمل، وفي هذه الحالة نكون قد أعطينا إهتمام أكبر إلى العامل التربوي للدين وأهملنا وتناسينا دور الجانب الإجتماعي للدين وبذلك يجب أن ننظر إلى العلاقة الإجتماعية والعلاقة الدينية مع من الوجهة التاريخية على أنهما حدث ومن الوجهة الكونية على أنهما عنوان على حركة تطور إجتماعي واحد »[3]

ب/ التوجيه الصناعي (التربية المهنية): نجد العديد من العلماء والمفكرين قد تكلموا في بدايات مسارهم الفكري عن مصطلح الصناعة من بينهم "إبن خلدون" وذكر ذلك في

[1]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 96.

[2]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 249.

[3]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 56.

مقدمته، وأما عن " مالك بن نبي" تكلم عنه أيضا إلا أنه لم يقصد به ذلك المصطلح من حيث زوياه ومعانيه الضيقة « كل الفنون والقدرات والمهن وتطبيق العلوم »[1]

ويجب أن نأخذ بعين الإعتبار أهمية هذه المهنة وما تحققه من إكتفاء إجتماعي وإكتفاء ذاتي حيث أنها تشمل وتحمل تحت طياتها جميع لوازم الفرد المادية الفنية « الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه، وربما لبناء مجده ولكنها وسيلة للمحافظة على كيانه وإستمرار نموه »[2]، ورغم بساطة القيمة الإجتماعية لهذه المهنة وبساطتها:« فإن لها في إحدى ضواحي باريس مدرسة لتأهيل الرعاة، لذلك لو قارننا راع من خريجتها وراع من مجتمعنا أن لها مدرسة وطنية في فرنسا بمدينة (رامبولية) من ضواحي باريس، فلو رأينا الراعي الخريج من هذه المدرسة والراعي عندنا يقود كل منهما قطيعة، لعلمنا أي فرق بينهما؟ »[3]

إذ كنا نسعى إلى تطوير الجانب العقلي والفكري ونسعى أيضا إلى أن تكون هناك فرص العمل ويكون هناك إختراع في جميع المجالات، وتنوعها فيجب أن نأخذ بعين الإعتبار جميع الجوانب الثقافية لأن الثقافة تعد قيمة من القيم الإجتماعية لذلك فهي التي يتشكل فيه الفرد طباعه وعليه فإنها تحمل في طياتها عناصر تربوية فبذلك تجعل حرية في التفكير وهذا ما يؤدي إلى تطوير والرقي وبالتالي يكون هناك تنوع في التغيير والبناء.

ج/ توجيه العمل:

إذا إتحدت جهود أفراد المجتمع تتولد مع ذلك وتنشأ علاقات إجتماعية، وبالتالي يتحقق البعد العملي مع إعطائه أبعاده الأخلاقية والإجتماعية:« إن توجه العمل في مرحلة التكوين

[1]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 88.

[2]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 97.

[3]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر نفسه، ص 97.

الإجتماعي بعامة يعني سير الجهود الجماعية في إتجاه واحد، بما في ذلك جهد السائل والراعي، وصاحب الحرفة.....لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء »[1] كما أن العمل يحتل مكانة جد هامة، فيلعب دورها في البناء الحضاري والتغيير الإجتماعي وعامل من عوامل النهوض حيث قال " مالك بن نبي":« العمل وحده هو الذي يخط مصير الأشياء في الإطار الإجتماعي ورغم أنه ليس عنصرا أساسيا كالإنسان والأرض والتراب إلا أنه يتولد مع هذه العناصر الثلاث »[2]

د/ توجيه رأس المال:

كانت بدايات مالك بن نبي في رؤيته ونظريته لما جاء وقال به " كارل ماركس"، حيث يجعل منه عامل أو وسيلة لنهوض والتقدم والبناء وتواصل النمو والتطور المادي، حيث يعتبر" كارل ماركس" أن رأس المال عبارة عن آلة إجتماعية وإنما من حيث هو آلة سياسية بين يدي طبقة معينة هي« البرجوازية » لإضطهاد طبقة أخرى هي« البرولتياريا»[3]

وفي مقابل ذلك نجد رأس المال عند الدول العربية الإسلامية حيث أن عندهم رأس المال لم يتلقى جل العناية والإهتمام الكامل مثل الدول الأوربية وعليه فإن مشكلة رأس المال في البلدان الإسلامية تختلف كل الإختلاف عن الدول الأوربية وعليه نجد أن المال عند الدول الإسلامية ما هو إلا أداة ووسيلة تساهم في الوعي وما يؤدي بالتقدم والنهوض المادي وليس أداة سياسية في يد فئة رأسمالية تضطهد من خلالها جمود الشعب.

[1]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر نفسه، ص 107.

[2]– مصطفى النشار، **مالك بن نبي من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري** العقيدة ، العدد الخامس عشر، ص 217.

[3]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 109.

ونجد مالك بن نبي يرى بأنه من مستحسن الأمر التفريق بين مفهوم كلا من رأس المال و الثروة، حيث أن الثروة تكون لها صلة بصاحبها، وتحمل لقب مالكها، أما رأس المال عكس ذلك ينفصل عن إسم مالكه، فالثروة شيء بدائي ومتواضع، ولا تصل إلى المستوى المرموق للرأس المال، فهي قد نحتاجها لأغراض خاصة في مجالات محدودة، أما رأس المال فله تلك الأهمية الإجتماعية الكبيرة، فله وظيفة إجتماعية، يساهم في تلبية حاجات المجتمع المتنوعة وذلك يكون وفق شبكة العلاقات الإجتماعية المتبادلة، ووفق غايات أفراد المجتمع الواحد فرأس المال، يتميز بصفة الحركية والتنقل وهذا ما يخلق بدوره إلى ظهور فرص العمل وتنشيط الفكر والعمل والحياة على سواء، وعليه فإن توجيه رأس المال يلعب دور إجتماعي كبير وبه يصل المجتمع إلى أسس معالم النهوض والتغيير والبناء الحضاري:« أما توجيه رأس المال فمعناه أن تصبح كل قطعة مالية متحركة متنقل تخلق معها العمل والنشاط، إن القضية ليست في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه بتوجيه أموال الأمة مهما كانت بسيطة وذلك بتحويل معناها الإجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك،ينشط الفكر والعمل والحياة »[1]

فمن أجل بناء حضارة يجب أن نجعل الطاقات الإجتماعية تتحرك ونكشف عن الجهود الفردية حيث قال مالك بن نبي:« إن النشاط الإجتماعي لا يكون متميزا وفعالا وقابلا للبقاء والإستمرار إلا مع وجود أسباب معينة تجعل الطاقات الإجتماعية تتحرك بصورة فعالة »[2] فنعزز العلاقات التي لها مجال في الحياة الإقتصادية ذاتها، وبالتالي تخلق حياة إجتماعية في نطاق العمل المشترك والموحد.

[1]– الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 221.

[2]– شعيب شنوف، **الحركة الإقتصادية في الدول النامية عالمية مالك بن نبي والعولمة الغربية**، دار المحمدية العامة، 2003، الجزائر، ص 13.

خلاصة:

نستنتج مما سبق أن " مالك بن مالك"، لم يذكر التربية ويصرح بها بشكل مباشر في مؤلفاته، لكن لو لم يدرك أهميتها لما ربطها بالجانب الثقافي، لأن الثقافة تحتل مكانة كبيرة ومحورية في فكر" مالك بن نبي"، ويعدها عاملا للبناء والتغيير، ونجد أن التربية عنده تم النظر إليها من زوايا مختلفة وربطها بمصطلحات ومفاهيم مختلف (التربية كعملية– التربية كمفهوم– التربية كمشكلة – التربية كتنشئة إجتماعية، فالتربية لها دورها في تنمية سلوك الفرد وتنمية العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد مما يؤدي إلى خلق " شبكة العلاقات الإجتماعية" حيث يكون رابط هذه الشبكة صفة التعاون والإخاء، والتكافل، وجعل من الدين أو الفكرة الدينية" الركيزة والعامل الأساسي التي تقوم عليه الحضارة وعليه فإن المشروع التربوي عند " مالك بن نبي" كان المحور الأساسي والمقوم في إقامة حضارة وفق قيم ومبادئ.

الفصل الثالث:

مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي

تمهيد

المبحث الأول: ضبط المفهوم العام للحضارة

1- تعريف الحضارة

2- التطور التاريخي للحضارة عبر العصور

المبحث الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

1- تعريف الحضارة عند مالك بن نبي

2- شروط الحضارة عند مالك بن نبي

3- مراحل الحضارة عند مالك بن نبي

خلاصة

تمهيد:

تعد الحضارة من أهم المسائل التي شغلت فكر مالك بن نبي وأخذت مساحة واسعة في فكره، وذلك يعود إلى الجدل الذي ظل قائما بين خصومات الحضارة وبين الدول العربية الإسلامية التي تعاني من مشكلات التخلف والإنحطاط، ويربط مفهومه للحضارة بالفكرة الدينية أي كانت بداياته من منظور ديني، فالبناء والإنجاز الحضاري عنده يقوم على ثلاثة شروط وهي الإنسان، التراب، الوقت، ويؤكد كذلك مالك بن نبي على الدورة الحضارية والتي يمر عنده بثلاثة مراحل مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة، وتعتبر هذه المراحل عند البناء أو السقوط الحضاري عنده، وقد لعبت هذه النظرية " نظرية الدورة الحضارية" دورا أو منظور حضاري تميز به فكر مالك بن نبي في مفهومه ونظرته للحضارة .

و في هذا الفصل سوف نتعرف على مفهوم و وجهة مالك بن نبي ونظرته للحضارة و نتطرق كذلك إلى أهم الشروط والعناصر المكونة لها، كذلك أهم المراحل التي تمر مرت بها الحضارة عنده.

المبحث الأول: ضبط المفهوم العام للحضارة (خصائصها و أهدافها)

1/ تعريف الحضارة:

أ/ لغة:

- يقول المعجم الوسيط: (الحَضارة) بكسر الحاء وفتحها، تعني الإقامة في الحضر وأن مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والإجتماعي في الحضر[1]

- وفي القاموس المحيط (الحضارة) ضد فعل (غاب) والحاضرة والحضارة (ويفتح) خلاف البادية.[2]

ب/ إصطلاحا:

- **بالفرنسية:** civilisation

- **بالإنجليزية:** civilization

الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر، بخلاف البداوة، وهي الإقامة في البوادي[3] ونجد أن أول من إستعمل مصطلح الحضارة هو عالم الإجتماع عبد الرحمان إبن خلدون، وقد إستعمل هذا اللفظ قديم، إلا أنه جعله معنى قريب من معناه الحاضر فنجد ابن خلدون قد فرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود فالبداوة أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضر لأنهم يقتصرون على إنتحال الزراعة والقيام على الحيوان لتحصيل ما هو ضروري أما الحضر فإن إنتحالهم للمصانع والتجارة[4].

---

[1]– المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيسات، حامد عبد القادر محمد علي النجار ج1، ص 180.

[2]– لمجد الدين الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج2، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط1، 1986 بيروت، ص 10.

[3]– جميل صليبا، مرجع سابق، المادة (الحضارة).

[4]– المرجع نفسه، المادة (الحضارة).

تعتبر البداوة وأهل البدو هم أهل الحضارة وأصحابها و أساس بناؤها، وهم يعدون نقطة الإنطلاق للحضارة وقيامها، وقد جعلوا من الزراعة والفلاحة وتربية الحيوانات كسب معاشهم ولقمة عيشهم.

وأما أهل الحضر فقد حصلوا من المصانع والتجارة مكسب دخلهم، وعليه فإن رزقهم ودخلهم يكون أكثر من البدو ويبقى أصحاب البدو أهل وأصل الوجود الحضارة وبروزها.

ونجد أن الحضارة عند المحدثين تأخذ معنيان آخر موضوعي وآخر ذاتي مجرد.

ج/ المعنى الموضوعي:

فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة[1] بمعنى أنها تعني التطور في مجالات مختلفة وتكون متداولة بين أفراد المجتمع الواحد وأن كل حضارة تختلف عن غيرها من الحضارات سواء من ناحية العادات أو التقاليد والأعراف، مثلا إختلاف الحضارة الغربية عن العربية.

د/ المعنى الذاتي:

فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش وكما أن لفظ الحضارة يحمل نفس معنى الثقافة ويكون مرادفا لها إلا أن هذين اللفظين لا يدلان عدد العلماء على معنى واحد فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل والذوق وبعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية، أي على مجموع عناصر الحياة، وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات[2].

[1]– المرجع نفسه، المادة (الحضارة)

[2]– المرجع نفسه، المادة (الحضارة)

- **تعريف كلايد كلا كهو** (clyde. Clakhom): أن الحضارة تعني النتاج التاريخي لتنظيم المعيشة، وذلك من خلال مشاركة الجماعة[1].

- **تعريف ألبرت شفيتزر**(albert chweitzer): الحضارة هي حماية كل تقدم حققه الناس وكل فرد في كل مجالات العمل، ومن جهة نظره من حيث كون هذا التقدم يساعد الكمال الروحي للأفراد[2].

- **تعريف أبو الأعلى المودودي:** هي« تصور سليم للحياة الدنيا، وغايتها في نظام إجتماعي يقود الإنسان إلى الرقي والرخاء والإيمان[3].

- **تعريف محمد البهي:** " الإنتاج الإنساني" الذي تتمثل فيه الخصائص الفكرية والوجدانية والسلوكية والعلمية، والخصائص الإنسانية، هي التي تعبر عما يتجاوز الفردية والأنانية، أي يقوم على العلاقات الإجتماعية[4].

2/ التطور التاريخي للحضارة عبر العصور:

- **الفكر الشرقي القديم:**

أثناء الخوض في الفكر الشرقي القديم نجد أنفسنا أمام المعالم الأولى للدورة الحضارية وذلك يعود ويرجع إلى تفسيرها لمراحل التاريخية، وفي الفكر اليوناني يجد بنا من ضرورة الأمر البدء بفلاسفة الطبيعة وكيف فسروا ونظروا إلى الكون، مرورا بفلسفة أفلاطون والفلسفة الرواقية، ثم العرب القدماء قبل ظهور الإسلام.

في الهندوكية والبوذية نجد إتقادا فحواه أن الكون بأسره يمر وفق دورات متتابعة طويلة الأمد، تبدأ كل منها بمرحلة تتميز بالصفاء والفضيلة، ثم تتبعها مرحلة تعرف نقصا في الفضيلة فيعم الشر ويقل الخير ويسود النزاع والمرض ثم يعود الكون فينبعث من جديد

[1]- العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 15.

[2]- المرجع نفسه، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص 14.

[4]- المرجع نفسه، ص 14.

وهكذا دواليك، فالكون يشهد دورات حتمية من جديد لتعيد نفسها وفق نفس الحركة، هذه الحركة تابعة لتبدل الروح المطلقة الكبرى.[1]

أما عند الصينيين قد سادا إعتقاد القدماء بوجود نظام كوني، يسود كل ما يجري في الوجود يدعونه بإسم (تاو) (tao) وهو يقومم على مبدأين هما(الين) (yin) وهي حالة السلب (الجمود والسكون) و(ينج) (yang) وهي حالة الإيجاب (النشاط و الفعل)، فالكون كأنه في حركة مد وجزر دائمة، مثله مثل حياة الفرد وحياة الجماعاة، فهما خاضعتان لتعاقب هاتين الحالتين تعاقبا لا مفر منه[2]

- الفكر اليوناني:

نجد أن الفلسفة اليونانية إهتمت إهتماما كبيرا بالكون وطبيعته وحركته، وكانت النظرة اليونانية للزمن والتاريخ جد مختلفة زمغايرة على غيرها من الحضارات السالفة، حيث كانوا يرون بأن الأحداث التاريخية لم تقع بشكل إعتباطي بل هناك أسباب تقدم هذه الأحداث بمراحل تبدأ من الميلاد والحياة والإضمحلال، وكانت هذه وجهة نظر اليونان والتي كانت نظرة ميتافيزيقة تسيطر على الروح والذات اليونانية.

ونجد أن معظم الفلاسفة اليونانيين يميلون إلى الإيمان بفكرة الدورات التاريخية وعلى رأسهم " هيزيود" أحد شعراء اليونان، يرى بأن الكون تحكمه عملية إضمحلال متوالية بدايتها من العصر الذهبي، ثم العصر البرونزي، و نهاية بعصر حديدي يضطر الناس فيه من أجل العيش، ونجد مفكري الفلسفة اليونانية الأوائل كل واحد منهم له وجهة نظر وقانون يحكم الكون أو الحياة.

---

[1]- جمال بروال، **الدورة الحضرية بين فكر مالك بن نبي و أزوالداشينجلر**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: عبد المجيد عمراني، قسم العلوم الإنسانية و الإجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر، 2013، باتنة، ص 21.

[2]- المرجع نفسه، ص 22.

– نكسمندريس: الذي يرى أن الإيرون(اللامحدود) هو المادة الأولى للأشياء الكائنة، وأن أصل الذي تستمد منه الموجودات وجودها هو الذي تعود إليه عند فنائها[1]

وعليه فالتصور الحضاري للعالم الطبيعي، عبارة عن قانون عام يتحكم في الأشياء حيث أن بدايتها تكون من اللامحدود الذي هو المادة الأساسية للأشياء ثم تعود تنحل وتعود إليه ويتكرر وهكذا.

– هيراقليطس: كانت نظرته تقر بالديمومة، أي أن كل ما في الكون يكون في حركة دائمة فالتغير والحركة يمثلان سنة الكون وسبب هذه الحركة هو الصراع، وهو في منظوره شكل الأشياء ومن خلال الصراع تُحول الأشياء إلى بعضها البعض، ويقر بفكرة الموت والفناء وأن كل شيء يخرج من النار وإليها يعود، ونجد أن هيراقليطس قد أثر في فلسفات عديدة كالرواقيون، وكما نجد كذلك الفلسفة الحديثة عند " روني ديكارت" قد تأثرت به في نظريته عن خلق الكون، و "روسو" في نظريته عن التطور التاريخي وصولا إلى "هيجل" و "ماركس"، ونجد المؤرخ " هيرودوت" الذي يؤكد على فكرة الفناء، أي بمعنى أخر إنتهاء الدورة والحركة الحضارية.

ومرورا بالمؤرخ " نيوسيديدس" الذي يتنازع مع المؤرخ اليوناني الشهير " هيرودوت" على لقب أبو التاريخ، فعلى الرغم من مكانة كتابه الشهير " التواريخ" الذي يعد أول من سجل تاريخ حضاري وصلنا مكتوبا، ففيه "هيرودوت" كان مؤرخا فيلسوفا، وفيلسوف حضارة متقدم على عصره بقرون عدة.[2]

– أفلاطون: يرى بأن الشعوب والحضارات تنشأ وتنضج ثم تنحل، حتى جمهوريته لا تخرج عن هذه القاعدة.[3]

[1]– المرجع نفسه، ص 23.

[2]– المرجع نفسه، ص 24.

[3]– المرجع نفسه، ص 24.

لقد بلغت الدورة الحضارية أصول قممها في الفكر اليوناني عند الرواقيين الذين 'تبروا أن تاريخ العالم يعد مظهرا للغوس " logos"، إذ العقل الكلي الذي بموجبه وقعت الأحداث الماضية وتقع الأحداث الحاضرة وستقع بموجبه الأحداث المستقبلية، فتاريخ العالم في إعتقاد الرواقين سلسلة لا نهاية لها من الولادة و الفناء وكل موجوداته تنتج من هذه القوة العاقلة التي تتخلله[1]

- عند العرب القدماء و في الإسلام:

- عند العرب القدماء (الجاهلية):

كانت لهم نظرة عقلية إلى ظواهر الكون، وهي تكاد تكون أقرب إلى الواقع، فقد أدخلو نظرتهم في مفهوم التاريخ، إذ رأوا في حركة الكون وتعاقب الليل والنهار هي سبب الحياة والموت، فحركة الزمان في الفكر الجاهلي تسير في إتجاه واحد، حياة فموت ثم حياة، لكنهم لم يصلوا إلى شأن المصريين القدماء الذين أكملوا دورة الحياة بحياة أخرى تكون بعد الموت إذ أكدوا على حساب الإنسان على أعماله وأنه يحيا حياة أخرى بعد الموت تكون إما سعيدة أو تعيسة[2]

- وأثناء دخول الإسلام: غير ما في النفوس وما في العقول، حيث ساهم الوجود القراني في تغيير كل ما في الكون وتغيير نظرة الإنسان للدنيا، حيث أصبحوا يفكرون تفكيرا عقليا منطقيا وأخلاقيا، وأدركوا قيمة الحياة وأن كل ما فيها فاني وأدركوا القيمة الكبيرة للحياة من خلال رفع من قيمة ومن شأن الإنسان والسمو به.

فدخول الإسلام كان له أهمية كبيرة في حياة العرب، فقد أدركوا أن الدول تقوم ثم تتلاشى لتعقبها غيرها، حيث بدأت فكرة وحلقة الحياة والفناء بالنسبة للفرد، ثم شكلت فكرتها عند الجماعات وعليه أصبحت تمثل فكرة الزمان والتاريخ.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 25.

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

المبحث الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

1/ تعريف الحضارة عند مالك بن نبي

- من الناحية الوظيفية

يرى مالك بن نبي بأن الحضارة:« هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية والتي تتيح لمجتمع معين أن يقدم كل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نمو فالمدرسة والعمل والمستشفى ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر وإحترام شخصية الفرد تتمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه[1].

ومنه يمكن أن ندرك من هذا التعريف بأن الحضارة عند مالك بن نبي تكون متألفة من جانبها المادي والمعنوي، فالجانب المعنوي ويعني به الإرادة المعنوية التي تحرك الحضارة كالإحسان والحب والتآزر بين الأفراد وتعاونهم...إلخ والجانب المادي ويعني به مالك بن نبي مجموعة المعدات والوسائل والإمكانيات التي يجب توفرها ووضعها تحت تصرف المجتمع من أجل القيام بوظائفه لبناء وتقدم الحضارة.

- من الناحية البيولوجية:

« مجموعة من العلائق بين المجال البيولوجي حيث ينشأ ويقوي هيكلها وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحها هيكلها وجسدها لا روحها »[2].

- من الناحية التحليلية:

[1]- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 43.

[2]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 43.

لقد جعل مالك بن نبي للمركب الحضاري قانون تقوم وفقه الحضارة ويتم من خلال هذا القانون إنجاز وبناء الحضارة وعليه قام مالك بن نبي بصياغة هذا القانون في المعادلة التالية:

حضارة = إنسان + تراب+ وقت

و يعرف مالك بن نبي الحضارة في قوله:« مفهوم كوني يتجاوز الخصوصيات الدينية ولها قانون كلي يصوغه على شكل معادلة كيميائية حضارة = إنسان+ تراب + وقت»[1] .

فأزمة الحضارة تنحل إلى هذه المشكلات الأولية الثلاث، مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب ومشكلة الوقت، ونحن حينما نحاول التخطيط لحضارة، فليس علينا أن نفكر في منتجاتها وإنما في أشياء ثلاثة في الإنسان والتراب والوقت فحينما تحل المشاكل الثلاث حلا علميا ببناء الإنسان المتكامل والإعتناء بالتراب(الإمكانات الطبيعية) والزمن لتفاعل معا ضمن ما توفره الفكرة الدينية المركب للقيم الإجتماعية من شرارة روحية، فقد تم حل مشكلة الحضارة التي هي الإطار الذي فيه تتم للفرد سعادته[2].

فحسب مالك بن نبي الدين " الفكرة الدينية" هي العامل أو المفهوم الأساسي للبناء وإنشاء حضارة، ويرى أن عنصر الإنسان والتراب والوقت لا يأتي هكذا بشكل عفوي أو تلقائي بل يوجد عامل يدمج ويركب بين هذه العناصر الثلاث، وهذا المركب هو الدين " الفكرة الدينية" حيث يعتبر هو المركب الذي من خلاله يمكن إقامة حضارة " الفكرة الدينية" التي رافقت دائما تركيب الحضارة من خلال التاريخ »[3].

---

[1]– السيد ولد أباه، مرجع سابق، ص 135.

[2]– بدران بن مسعود بن حسن، **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي**، دار الكتب القطرية، ط1، 1999، قطر، ص ص52، 53.

[3]– مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 214.

« إن الحضارة لا تبحث إلا بالعقيدة الدينية وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها »[1].

ويربط مالك بن نبي الحضارة بالثقافة ويجعلها مماثلة ومطابقة لها وأساس نهوضها وقيامها:« جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة فالثقافة هي جوهر الحضارة »

وفي قول آخر:« فجوهر الأولى هو جوهر الأخرى ضرورة »[2].

ويعرف مالك بن نبي الحضارة إنطلاقا من العناصر التي تتركب منها:« على أنها مركب إجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط مهما كانت درجة تعقيدها كحضارة القرن العشرين»[3].

وعليه فإن الحضارة عند مالك بن نبي تتألف من العناصر الثلاثة الإنسان والتراب والوقت ولا يمكن أن يكون هذا التشكيل أو التركيب للحضارة إلا وفق مركب حضاري معين ألا وهو "الفكرة الدينية".

ومن خلال التعاريف التي توصلنا إليها ومن خلال نظرة مالك بن نبي للحضارة على غراره من المفكرين العرب نجد أن الحضارة عنده تمتاز بمجموعة من السمات أو الصفات تجعلها بارزة عن غيرها من الحضارات:

1/ الحضارة عنده هي مجموعة الأجزاء التي لا يمكن تجزئتها أو الفصل بينهم لأنها يتم تركيبها وفق منهج ومركب هو العامل الأخلاقي المتمثل في " الفكرة الدينية".

2/ تتشكل الحضارة في نظره من جانبين معنوي ومادي، يكون الجانب المعنوي أساس الجانب المادي ويتشكل وفق وجوده.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 214.

[2]– المرجع نفسه، ص 388.

[3]– المرجع نفسه، ص 389.

فالحضارة عنده إذا هي:« نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدمغة التي يدخل بها التاريخ، وهذه الحضارة تتجذر في محيط ثقافي يبدد سائر خصائصها التي تميزها عن ثقافات وحضارات أخرى »[1] ويعرفها كذلك في السياق نفسه:« هي جوهر الوجود للمجتمع وعكسها هي الهمجية والعودة إلى البدائية المترهلة »[2].

فالحضارة حسب مالك بن نبي هي تلك البدايات والإنطلاقات التي من خلالها يدخل الإنسان عالم التقدم والتطور ويدخل عالم النور والعلم وبها يصبح الإنسان قادرا على الإنتاج بنفسه وليس مستورد من غيره، لأن الحضارة هي التي تصنع منتجاتها، وعليه فالحضارة تبدأ من ثقافة المجتمع فالثقافة هي روح وحياة المجتمع:« فالثقافة إذا هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا »[3] ويقول أيضا:« فالثقافة إذا ما تكونت في مجتمع نشأت فيه تلقائيا شبكة الصلات الثقافية وتحددت فيه فعالية »[4].

2/ شروط الحضارة عند مالك بن نبي

لقد أخذت الحضارة ومشكلاتها مساحة شاسعة في فكر مالك بن نبي وهذا ما نلاحظه في جميع مؤلفاته فقد نظر للحضارة بنظرة تختلف عن غيره من المفكرين فقد جعل مالك بن نبي الإنسان هو أساس الحضارة بإعتباره الكائن والمخلوق المكرم عند الله سبحانه وتعالى قادر على الإنجاز والإختراع محاولا في ذلك بمختلف جهوده للوصول إلى معالم الرقي والتطور، و بالإضافة إلى شرط الإنسان في البناء إلا أننا نجد مالك بن نبي يضفي إلى هذا الشرط شرطين آخرين وهما التراب والوقت، وعليه بواسطة هذه الشروط يتحقق البناء والنهوض الحضاري ومن خلال الشروط الثلاثة صاغ مالك بن نبي قانون أو معادلة حضارية: **إنسان+ تراب + الوقت = منتوج حضاري.**

---

[1]– محمد العبدة، مرجع سابق، ص 60.

[2]– المرجع نفسه، ص60.

[3]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص50.

[4]– مالك بن نبي، **التأملات** ، دار الفكر، ط1، 1979، دمشق، سورية، ص 146.

وعليه سوف نحاول تحليل أطراف هذه المعادلة

- **الإنسان:** إن مالك بن نبي جعل من الإنسان ومشكلاته معيارا أو عاملا للتغيير والبناء الحضاري ويقول في ذلك:« إن كل التفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة»[1] ، ومنه قد جعل من عنصر الإنسان أساسا للبناء الحضاري، ولا يقصد بالإنسان من حيث معناه كفرد بل الإنسان الإجتماعي فالحضارة لا تتكون ولا تبنى على شخص أو فرد واحد فقط ، بل تتشكل من خلال مجموعة من أفراد المجتمع، وبهذا التجمع يشكلون علاقات أو شبكة العلاقات الإجتماعية يساهمون يتقدم وتطور الحضارة وعليه فإن الإنسان بهذا المعنى نجده هو المنتج والعامل المركب للحضارة وذلك من خلال العمل والنشاط المشترك الذي يقوم به أفراد المجتمع الواحد، وهذا ما يؤدي إلى النمو والنهوض الحضاري:« إن العمل الأول في طريق التغيير الإجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا individu إلى أن يصبح شخصا personne وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات إجتماعية تربطه بالمجتمع »[2].

فالإنسان في تصور مالك بن نبي هو العامل الذي يؤثر في حركة المجتمع وسير التاريخ فهو يؤثر فيه بواسطة ثلاثة أشياء بفكره، وعمله وماله، حيث قال:« يجب أن نضع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم الكبرى »[3] ومنه ومن خلال الدور الرئيسي الذي يلعبه الإنسان في البناء والإنتاج الحضارة و بوصفه عاملا يتحكم في حركة وسير المجتمع فإن مالك بن نبي وضع له مجموعة من التوجيهات:

- توجيه الثقافة

---

[1]- حسن موسى محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: صالح حسن الرقب، قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، 2005، غزة، ص 49.

[2]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 31.

[3]- الأخضر شريط، مرجع سابق، ص 246.

2/ توجيه العمل

3/ توجيه رأس المال

نقوم أولا بتقديم تعريف للتوجيه عند مالك بن نبي:

التوجيه عند مالك بن نبي:« فهو بصفة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف »[1]، ويعرفه كذلك في قوله:« هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأنها تستخدم في كل وقت و المهم أن تدير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية و الإنتاجية »[2].

وعليه فإن التوجيه هو الإبتعاد عن الإسراف في الجهد وحسن إستغلال الوقت وأن توظف العقول و القوى في أجود وأفضل الإستخدامات لكي لا نضيع الأهداف المراد تحقيقها من خلال هذه القوى والعقول والحرص على تحقيق الإنجاز والتطور في جميع مجالات الحياة.

ويعطي مالك بن نبي لتوجيه الثقافة تعريفا في قوله:« بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الإجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته»[3] وقد وضع أسس وعناصر أساسية تقوم عليهم الثقافة:

- المبدأ الأخلاقي

-الذوق الجمالي

- المنطق العملي

---

[1]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 67.

[2]- المصدر نفسه، ص 67.

[3]- لويزة لعميري، مرجع سابق، ص 31.

- الصناعة أو التقنية

إن للأخلاق دور أساسي في بناء العلاقات الإجتماعية ونموها وتطورها فالأخلاق هي تلك القوة التي تجمع وتربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض، حيث قال في ذلك:« لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية، ولكن من الناحية الإجتماعية و بين المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية»[1]، ومنه فإن المبدأ الأخلاقي هو ذلك الوصل الذي يربط بين أفراد المجتمع ويكون الجامع بينهم.

- **المبدأ الجمالي:**

وللجمال أهمية بالغة في الحياة الإجتماعية في تصور مالك بن نبي:« المنبع الذي تصدر منه الأفكار وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع، فلا يمكن على الإطلاق لصورة قبيحة أن توحي بالخيار الجميل، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله»[2].

والذوق الجمالي إذا توفر في نفسية الفرد يساعده على الإختراع و التطور في جميع المجالات المتعددة: « فالذوق الجمالي يبعث في الإنسان نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات»[3].

والذوق الجمالي يكون مرتبط بالمبدأ الأخلاقي ووثيق الصلة به لأنه يساهم ويترك أثر كبير في ترقية وتهذيب النفوس حيث قال: « لأنه يحفز الهمم إلى ما هو أبعد من المصلحة»[4].

---

[1]– المرجع نفسه، ص 66.

[2]– أرفنير علي، **إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: معيرش موسى، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 132.

[3]– لويزة لعميري، مرجع سابق، ص 79.

[4]– المرجع نفسه، ص 79.

- المنطق العملي:

ويعني به مالك بن نبي مدى إرتباط وتداخل العمل بوسائله ومقاصده لأننا نجد في بلدنا أن الجانب التطبيقي للعمل يكاد ينعدم على غرار ذلك أن الجانب النظري للعمل متوفر:« كيف ارتباط العمل بوسائله ومعانيه وبطريقة يتمكن بها الإنسان من إستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة»[1].

- **التوجه الصناعي(التقني):** فقد جعل مالك بن نبي من التقنية وسيلة من خلالها يتحصل الفرد على كسب قوته ورزقه، وكما يعتبرها مالك أداة تساهم في نمو المجتمع وتعمل على حفظ كيانه وإستمراره وبقائه (وسيلة للفرد تكسبه عيشه، وتساهم في بناء مجده، وبالنسبة للمجتمع فهي وسيلة للمحافظة على كيانه وإستمرار نموه ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني، ليحل المشكلة الخطيرة للتربية المهنية نظريا وعمليا تبعا لحاجات البلاد)[2].

توجيه العمل:

وقد جعل مالك بن نبي من العمل إتحاد لجميع القوى الإجتماعية، وذلك أن تكون هذه القوة ترمي إلى نفس الإتجاه ونفس الهدف، لأن بهذا الإتحاد يتطور الوضع الإنساني، مما يؤدي إلى تطوير الواقع والمحيط الإجتماعي والرقي به حيث يؤدي إلى خلق فرص أخرى ومجالات مختلفة للعمل وذلك بإتحاد وتداخل توجيه العمل مع توجيه الثقافة ورأس المال وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي:« أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطا عما أولا، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك لأن هذا التوجيه حيث يتحد مع توجيه الثقافة وتوجيه رأس المال يفتح مجالات جديدة للعمل»[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 82.

[2]- أرفنير علي، مرجع سابق، ص 133.

[3]- المرجع نفسه، ص 133.

توجيه رأس المال:

نجد مالك بن نبي قد ميز بين مصطلح رأس المال ومصطلح الثروة:« فالثروة مال ساكن ورأس المال متحرك والمطلوب من المسلمين توجيه المال وترشيده فالقضية ليست في تكديس الثروة ولكن في تحريك المال وتنشيطه بتوجيه أموال الأمة البسيطة، إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد»[1]، فحسب مالك بن نبي ضرورة إقامة مؤسسات في المجتمع العربي الإسلامي من أجل العمل على تنشيط أموال الأمة حتى لو كانت بسيطة وتحويل وتسيير رأس المال حيث قال:« إننا بحاجة إلى تكوين مجلس لتوجيه الثروة وتوظيفها لتتحول إلى رأس مال»[2]. ومنه فإن الثروة ورأس المال يشكلان دورا مهما في بناء وتطوير الحضارة والرقي بها.

- التراب:

جعل مالك بن نبي من التراب شرط من شروط البناء الحضاري وبإعتباره عنصر فعال يساهم من خلاله الفرد في النهوض وبناء التاريخ، فمالك بن نبي لا يقصد به بالتراب من حيث مجموعة الخصائص أو السمات المكونة له، بل ينظر إليه من حيث قيمته الإجتماعية ودوره في تشكيل وتسيير حركة المجتمع:« ولكننا نتكلم عن التراب من حيث قيمته الإجتماعية وهذه القيمة الإجتماعية للتراب مستمدة مالكيه فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة»[3].

كما أن التراب عند مالك بن نبي دوره مجال للإنسان وذلك إذا إستعمله إستعمالا حسنا ويصبح مورد وثروة بالنسبة لمالكه وهذا ما يؤدي به إلى تحقيق مجده وبالتالي دخول عالم التجديد والتحضر والتمدن:« إذا قيمة التراب عند مالك بن نبي هي جزء لا يتجزء من قيمة

[1]- المرجع نفسه، ص 134.

[2]- المرجع نفسه، ص 134.

[3]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 131.

مالكه، فإن كان مالكه متحضر كانت أرضه منتجة وقيمته ثمينة و إذا كان مالكه عاجزا كانت أرضه فقرة لا قيمة لها»[1].

ومن الناحية الفنية أو المظهر الفني يعرف مالك بن نبي التراب:« يقصد به جانب سيطرة الفنية والإستخدام الفني الذي تتجه العلوم المتخصصة كعلم التربية "pedolgie" أو الكيمياء ...إلخ»[2] وقد أكد مالك بن نبي على الدور الذي يصنعه الإنسان في إستغلال وتحويل التراب إلى ثروة وبالتالي يكون هناك تطور في مجالات متعددة سواء الإجتماعية أو الإقتصادية ...إلخ " فالأرض هي مسرح التحضر وعليها يكون إستقرار الإنسان ومن مرافقها السطحية والباطنية يرتفق لإقتناء حاجاته وتنمية أساليب حياته"[3].

وقد دعا مالك بن نبي إلى الإعتماد والإستناد إلى الإمكانيات و الأدوات العلمية، وذلك رغبة في معالجة وحل مشكلات التراب كالتصحر والإنجراف...إلخ حيث أن هذه المشكلات تعاني منها دول العالم الثالث الدول المتخلفة، وذلك من أجل الإعتناء أكثر بمشكلة التراب وإعتباره عاملا للتحضر ووسيلة للتقدم والتطور في المجال الإقتصادي وتحقيق الضمانات الإجتماعية و رفاهية الأفراد وعلى سبيل المثال يضرب لنا مالك بن نبي مثالا عن ذلك بوضع (المجتمع الفرنسي كنموذج الذي كان يعاني من تدهور الوضع الصحي وكانت الرمال محيط الأطلسي هي السبب في تراجع حالته الصحية، ولكن قام بإستغلالها أحسن إستغلال وقام بتحويلها من منطقة متدهورة إلى منطقة إقتصادية، فقام بغرس الأشجار بأنواعها المختلفة والمتنوعة وأصبحت مكان صحيا يلجأ إليه المرضى من مختلف أنحاء العالم)[4].

[1]– أرفنير علي، مرجع سابق، ص 135.

[2]– الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 222.

[3]– المرجع نفسه، ص 222

[4]– المرجع نفسه، ص 223.

ومن بين المشكلات التي يجدها مالك بن نبي سببا في تدهور الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية مشكلة الترحل وهي تعد مشكلة مرتبطة بالإنسان والتراب حيث أن الدول العربية الإسلامية تعاني من هذا المشكل "التراب" وذلك لعدم إستقرار الإنسان في منطقة معينة وإنتقاله من منطقة إلى أخرى لأن الإستقرار يعد عامل من عوامل الإستثمار وهذا الأخير يؤدي إلى التطور الحضاري، ومن بين دول العالم نجد الدول الأوربية التي نلاحظ تقدمها في جميع المجالات على الدول العربية وذلك يعود إلى إستقرارها في أرض واحدة مع المحافظة عليها، حيث قاموا بحسن إستغلالها منذ بداية حياتهم مما أدى بهم إلى التقدم في الحياة الإجتماعية وتطور في مفهوم الملكية ولمس أنماط النمو والرقي أيضا: الحضارة الصناعية حيث قال:« فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة وحيث تكون الأمة مختلفة يكون التراب على قدرها من الإنحطاط»[1].

- الزمن:

يعد الزمن ثالث عنصر من عناصر المعادلة الحضارية لدى مالك بن نبي فالزمن شرط من شروط البناء والنهوض الحضاري حيث قال في ذلك:« فهو ينساب ويجري في التاريخ»[2] فيرجع مالك بن نبي تطور الحضارات السابقة إلى حسن إستغلالهم للوقت في مجالات متنوعة ويحولونه إلى ثروة لتحقيق التقدم والتطور، وبالرغم من ذلك هناك من لا يراعي أهمية الوقت ويضيعه وهذا ما يؤدي إلى السير في طريق التخلف والتراجع في المجالات الإقتصادية أو الإجتماعية...إلخ وذلك ناتج عن عدم إدراك قيمة الوقت والتغافل عن أهميته التي لا تسترجع ولا ترد حيث قال مالك بن نبي:« حتى إننا ننساه أحيانا، وننسى الحضارات في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته لا تعوض»[3]، فالإنسان لا يدرك ثمن

[1]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 131.

[2]– الأخضر شريط، مرجع سابق، ص 256.

[3]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 139.

الوقت إلا في حالات الخطر وعند رغبة محافظته على المكوث والبقاء، وهذا ما تكلم عنه مالك بن نبي:« ففي ساعات الخطر في التاريخ، تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، إذا إستيقظت ففي هذه الساعات التي تحدث فيها إنتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفي عنه معنى العدم إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يقدر»[1].

فقد عبر مالك بن نبي بكل حرية عن الحضارات التي لم تراعي الوقت والزمن ولم تعرف القيمة التي يحملها، فبهذه اللامبالاة فقد جعل من الوقت أساس الحياة والتاريخ، حيث أن كلما كان بحوزة الإنسان على إدراك الوقت وله القدرة على إستغلاله يكون بإمكانه الإنجاز والإختراع، وتحقيق التطور وهذا ما يؤدي إلى بناء ونهوض حضاري، حيث ضرب لنا مالك بن نبي مثالا عن التجربة الألمانية التي حققت إنتصار في ظل الحرب العالمية الثانية ورغم ذلك إلا أنها حققت إنجاز عظيم وإسترجاع النظام الإقتصادي في ظل تلك الظروف ورغم إفتقاره لجميع الإمكانيات إلا أنه صنع وحقق المعجزة الألمانية وذلك كان راجع إلى إدراك أهمية وثمن الوقت، و كان مالك بن نبي يريد أن يزرع في نفسية العالم الإسلامي العربي نفس الطريق التي سارت فيه الدول الألمانية، في فهمها وإدراكها لأهمية الوقت فيريد من الشعب العربي الإسلامي التفطن والنهوض وإدراك قيمة الوقت وقيمة وأهمية كل جزء من أجزائه، فقد جعل التربية هي الوسيلة الأفضل والإمكان بذلك لجعل الشعب العربي الإسلامي يتفطن من نومه وسباته ويدرك أهمية الوقت والزمن ويستغل كل دقيقة منه في الرقي والتجديد:« إن وقتنا الزاحف صوب التاريخ لا يجب أن يضيع هباء، كما يهرب الماء من الساقية، ولا شك في أن التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب العربي الإسلامي قيمة هذا الأمر»[2].

[1]– نفس المصدر، ص 139.

[2]– مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 219.

البناء والإنجاز الحضاري عند مالك بن نبي يقوم على ثلاثة شروط الإنسان والتراب والزمن وكان الدين المتمثل عند مالك بن نبي في " الفكرة الدينية" فهي تعد الرابط بين هذه الشروط أو العناصر الثلاثة، لأن الدين هو أساس البناء الحضاري وأساس تحريك عجلة التاريخ فإن كان الدين في نظر بعض الشعوب والحضارات سببا لتراجع النمو والجمود الفكري والتخلف والإنحطاط، فعند مالك بن نبي جعله مفهوم وركيزة للانجاز والبناء ورابط بين عوامل وشروط ولوازم نهوض الحضارة.

وفي مقابل هذه الشروط هناك عوامل من الواجب والمستحسن التطرق إليها وهي تعد من شروط البناء والتغيير الحضاري في فكر مالك بن نبي وهي تلك العوالم الثلاثة، عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، وكان كذلك الدين هو الرابط بين هذه العوالم، حيث أنها تعد من مشكلات الحضارة والبناء والإنجاز الحضاري حيث قال مالك بن نبي عن ذلك:« وهنالك في عالم الأفكار داخل المجتمع تراتيب بين الأفكار التي تغير الإنسان والأفكار التي تغير الأشياء»[1].

أ/ تكوين عالم الأشخاص:

شرع مالك بن نبي في معالجة هذا العالم " عالم الأشخاص" من إتجاهين إتجاه له صلة بالإنسان والرابط الذي يجمعه بأفراد مجتمعه وعلاقته به كعلاقة التكافل والتضامن...الخ والإتجاه الثاني له علاقة بالإنسان ذاته.

إن العلاقة التي تجمع الإنسان بغيره من أفراد مجتمعه تخلق من خلال هذا الجمع أو التلاقي مجموعة من العلاقات " شبكة العلاقات الإجتماعية" تقوم على أساس الإخاء والتكافل والمحبة...إلخ، وبهذه الصفات يتشكل مجتمع وفق قيم ومبادئ أخلاقية وجعل من الدين عامل أو الراعي الأساسي لتشكيل هذه العلاقات لأنه من خلال هذا العامل نقضي

[1]– مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**،(تر) بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق سورية، ص 58.

على جميع الصفات الغير الأخلاقية ونبذها، لأنه يساهم في حماية المجتمع وتنظيفه وتنقيته من جميع الشوائب العالقة واللاصقة في أفراد المجتمع وتنشيط خيط الاتصال والتواصل بين الأفراد وتنمية شبكة العلاقة بينهما:« فالفكرة الدينية تتدخل إما بطريقة مباشرة، وإما بواسطة بديلاتها اللادينية نفسها، في التركيبة المتآلفة لحضارة ما وفي تشكيل إرادتها»[1].

أما الإتجاه الثاني وهو الإتجاه أو الجانب الذي يبرز دور الإنسان أو الفرد في ذاته والمتمثل في مجموعة الصفات أو القدرات التي يتحلى بها ويتميز بها عن غيره من أفراد المجتمع وهذه القدرات أو الصفات المتميزة لديه تجعل منه كعامل فقال في وسط المجتمع وبالتالي يبرز دوره في المجتمع، وبالتالي يكون ذلك كإنطلاقات أو بدايات التغيير الاجتماعي« وان العمل الأول في طريق التغيير هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا إلى أن يصبح شخصا وذلك بتغير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات إجتماعية تربطه بالمجتمع»[2]، ويقول كذلك في نفس السياق:« وبالتالي يجعل من خلال مجموعة خبراته والمفاهيم وإمكانياته الذاتية وثقافته بإعتبار أن الثقافة هي تلك الجانب الذي يتكون فيه شخصية الفرد وتربط الفرد بأفراد مجتمعه من خلال العادات والتقاليد المشتركة أنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع أخر»[3]،« والثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد ويقدم له الروابط الإجتماعية»[4].

ب/ تكوين عالم الأفكار:

إتخذ مالك بن نبي وجعله المقوم الثاني في مشروعه الحضاري، ومن الصفات والمميزات التي يتحلى بها هذا المقوم بإعتباره عاملا بناءا وأن المؤسسين له أحدهما متمسك ومرتبط

[1]– مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 60–61.

[2]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 31.

[3]– مالك بن نبي، التأملات، مصدر سابق، ص 147.

[4]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 175.

بالعنصر السابق المتدخل في بناء شخصية الفرد أما الثاني فهو الذي ينحصر في قدرة وإمكانية الفرد على الإكتساب (ومدى ما تقدمه الفلسفات العلمية والثقافية من محفزات للطاقة الإستيعابية للفرد)[1] ورغم ذلك فتبقى الثقافة تختلف عن باقية العلوم بإعتبار أن المجالات العلمية لها ما يميزها من مبادئ ومرتكزات أساسية تتحلى بها وتتصف بها كل العلوم ونظرياتها ومناهج تقوم عليها، وعليه قد تبقى جميع الأسس ونظريات نفسها متداخلة حتى وإن إختلفت مناهج إكتسابها من فرد إلى آخر، وتبقى الثقافة كذلك شيء مغاير إلى ذلك فهي تختلف من مجتمع إلى آخر فكر مجتمع ما يميزه عن غيره من المجتمعات، ومنه فلكل مجتمع ثقافته الخاصة به، ويعرف مالك بن نبي الثقافة في تصوره:« مجموعة من الصفات الخلقية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[2] ومن جهة أخرى يعرفها في قوله التالي:« فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر»[3]، فالثقافة عند مالك بن نبي هي الحيز الذي يشكل ويتكون فيه الفرد ويبني شخصيته على غرارها لكن كانت من بين الأسباب التي أدت إلى تدهور الأوضاع الحضارية، وهدم البناء الحضاري هي إتباع ثقافات الغير والتقليد الأعمى للغرب وثقافته والإبتعاد عن ثقافة مجتمعه، التي باعتبارها المشكل لشخصيته وهويته، وهذا ما جعل مالك بن نبي يجعل من الثقافة عاملا وعنصرا أساسي في بناء شخصية الفرد وتكوينه وتكوين وعيه وفكره، فهي بمثابة السلاح الذي يستعين به الفرد في مواجهة والوقوف في وجه الاستعمار أو أي عدوان خارجي، أي أن الثقافة هي التي تمد الفرد بالقوة والشجاعة لمواجهة الإستعمار والتصدي له والذي يحاول

[1]– العابد الميهوب، مرجع سابق، ص 176.

[2]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 74.

[3]– المصدر نفسه، ص 74.

القضاء على هوية المجتمع، وعليه يصبح أفراد المجتمع أكثر قابلية تعايشا للاستعمار وأشكاله.

يسعى مالك بن نبي إلى جعل الفرد يتحلى بأسمى معاني الأخلاق والقيم، والمبادئ حيث دعى إلى القيام بالواجبات أولى من المطالبة بالحقوق، وعليه فإن مالك بن نبي يرى بأن من أولويات الفرد أن لا يجوز له المطالبة والمناداة بالحقوق قبل أداء الواجبات، وهذا كان سبب من أسباب التي تؤول على أن لا يتكون شعوريا أكثر أثناء ممارسة للأعمال التي يؤديها، ولا يتحمل مسؤولية ذلك الشيء، وهذا ما نلاحظه في المجتمع الجزائري بارزا (إننا نطالب بحقوقنا تلك الحقوق الخلابة المغرية التي يستسهلها الناس، فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب: طريق الواجبات)[1] وفي قول آخر:« فطالبوا بالحقوق التي هضمها الإستعمار وأغفلوا الواجبات، وأصبح هذا الكلام من أروع مظاهر المأساة التي يعانيها الجنس البشري في عصرنا»[2]

- عالم الأشياء:

يعتبر هذا العنصر آخر عنصر ضمن العناصر السابقة التي جعل منه مالك بن نبي وإعتبره شرط أساسي في مشروعه الحضاري، حيث تعد هذه المرحلة هي آخر مرحلة بعد مرحلة تكوين الأشخاص ومرحلة تكوين الأفكار النابعة من مرحلة الأشخاص، وتكون مرحلة الأفكار ذات إنسجام وتناسق والغاية والهدف التي تسعى إليها وهي إبراز دورها في إحداث تغيير يكون فعالا وبناءا في مسار وحركة المجتمع، وذلك من خلال التوجيه الايجابي قوامه مجموعة من المناهج العلمية المختلفة.

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 35.

[2]- نفس المصدر، ص 147.

فكرة التوجيه عند مالك بن نبي:« وحدة في الهدف... فكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حيث زحمتها قوى أخرى صادرة عن نفس المصدر، متجهة إلى نفس الهدف»[1] إن التوجيه يلعب دور أساسي ورئيسي في حياة المجتمع ولهذا فإن غيابه يؤدي بكوارث وخيمة وقد تمس المبادئ والقيم الأخلاقية، مما قد يؤدي بإنحلال المجتمع وبالتالي تدهور البناء والنهوض الحضاري، ولهذا يجب أن نجعل أعمالنا تقوم على الفاعلية والجدية في العمل لأن بذلك ندخل عالم النهضة والتمدن:« إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من (اللافاعلية) في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة»[2] وعليه فإن الإنسان إذا إتصفت أعماله وميزتها الفاعلية، فإنه أولا يساهم في تلبية مستلزماته وحاجاته وبالتالي تعم الحركة والنشاط في المجتمع، وينمو ويسير في درب التطور والرقي ودخول عالم التحضر، لأن الإنسان هو المسؤول على حركة التاريخ وسكونه وركوده وجموده يؤدي إلى سكوت المجتمع وحركته وفعاليته تؤدي إلى تطور وإزدهار المجتمع والتاريخ حيث قال مالك بن نبي:« إن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف إجتماعية ثلاثة، تأثير عالم الأشخاص تأثير عالم الأفكار، تأثير عالم الأشياء»[3]، حيث أن هذه العوالم الثلاثة تعمل عملا متداخلا ومتكاملا أي يكون نشاطها متوافق ومنسجم مع بعضها البعض ويؤدي بدوره إلى التغيير في مجالات الحياة أو يصح القول أو التعبير إلى تطوير المجتمع وبناء حضارة في إطار شبكة العلاقات الإجتماعية:« إن (عمل) المجتمع ليس مجرد إتفاق (عفوي) بين الأشخاص والأفكار والأشياء، بل هو تركيب هذه العوالم الإجتماعية الثلاثة التركيب الذي

[1]– المصدر نفسه، ص 87.

[2]– نفس المصدر، ص 96.

[3]– جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 42.

يحقق معه ناتج هذا التركيب في إتجاهه في مداه(تغيير) وجود الحياة، أو بمعنى أصح: تطور هذا المجتمع»[1].

ورغم ذلك حسب مالك بن نبي يرى بأن الإنشاء الحضاري ونهوضه ونمو علاقات المجتمع وبنائها، تستند وتبنى وترتكز على عالم الأفكار بشكل أكبر أي أن الأشياء المتاحة والبارزة في عالم الأشياء تم شراءها من عالم الأفكار، أي أن عالم الأفكار هو الركيزة التي يستند ويقوم عليها عالم الأشياء في بناء عالمه، ومن دونه يكون عاجز كل العجز عن الوقوف وأداء مهامه ووظائفه:« إن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه، لا يعبر عنها بمجموعة (الأشياء) في هذا المجتمع، ولكن بمجموعة من أفكاره»[2].

3/ مراحل الحضارة عند مالك بن نبي

إن مالك بن نبي أثناء دراسته لمراحل الحضارة الثلاثة على الحضارة الإسلامية وإبراز وتوضيح الدور التاريخي أو الدورة التاريخية للحضارة، فحسب مالك بن نبي، إبن خلدون هو أول من إستنبط فكرة (الدورة) في نظريته عن الأجيال (الثلاثة)[3] ويمكن الإشارة إلى أن مالك بن نبي يحاول أن يجد تبريرا من خلال الحضارات الأخرى بإعتبار أن كل حضارة تختلف عن الأخرى، فالحضارة في تصوره تنتقل من مكان لآخر ومن مجتمع لأخر لتمارس دورتها الحضارية، ومنه فالحضارة عند مالك بن نبي تنتقل من شعب إلى آخر لتبدأ دورتها حيث قال:« تكون نهاية (دورة) وهجرة (حضارة) إلى بقعة أخرى تبدأ فيها دورة جديدة، طبقا لتركيب عضوي تاريخي جديد»[4] وفي قوله أخر:« تسير الحضارة كما تسير

[1]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 27.

[2]– مالك بن نبي، فكرة الكومنويلث، مصدر سابق، ص 53.

[3]– مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 28.

[4]– المصدر نفسه، ص 31.

الشمس، فكأنها تدور حول الأرض، مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر»[1].

فكل حضارة تختلف عن غيرها، لأن كل مجتمع يتميز عن غيره، فكل حضارة لها سماتها ومواصفاتها الخاصة بها، ولهذا نجد مالك بن نبي يرجع ترابط أجزاء وعناصر ووحدات الحضارة إلى البعد الديني " الفكرة الدينية" وكل مرحلة من مراحل الدورة الحضارة تكون محدودة بقواعد وإلزامات نفسية وتكون هذه الشروط النفسية ترجع إلى المقتضيات الروحية التي تركتها الفكرة الدينية في نفسية خاصة المجتمع، كما قلنا سابقا بأن كل حضارة تختلف عن غيرها بواسطة تلك الشروط النفسية والإجتماعية بها تتميز حضارة عن غيرها حيث قال مالك بن نبي:« إن كل دورة حضارية عند مالك بن نبي تختلف عن سابقيتها و لاحقيتها فهي محدودة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين، وهي تستمر في هجرة متواصلة لانهاية لها، لتتركب من جديد من الإنسان والتراب والوقت»[2].

1/ مرحلة الروح:

أو مرحلة الصعود وهذه المرحلة تمثل عند مالك بن نبي بمثابة تلك الشعاع للفكرة الدينية وبدأت هذه المرحلة مع نزول أول آية في القرآن الكريم في غار حراء، لذلك نجدها لها تأثير على نفسية الإنسان، ويكون الفرد في هذه المرحلة يعيش وفقا لغرائزه ولكن عند مجرد ظهور الفكرة الدينية، والتي تعمل هذه الأخيرة وفق قانون شرطي يقوم بتنظيم وضبط غرائز الفرد في إطار علاقة وظيفية لكن دون القضاء عليها، وبهذا الشكل يصبح الفرد بممارسة نشاطاته وتحركاته مقتضيات حياته وفقا لقانون الروح:« وهذه العملية الشرطية في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية: فالحيوية الحيوانية تمثلها الغرائز بصورة محسوسة لم

[1]– أرفيس علي، مرجع سابق، ص 138.

[2]– المرجع نفسه، ص 138.

تلغ ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين»[1] وبواسطة التغيير أو التحول التربوي الذي ساهمت به هذه المرحلة في تحسن سلوك الإنسان وتجديد نفسية، وفي حركة المجتمع، حيث يساعد هذا التجديد في بروز علاقات إجتماعية متفاعلة ومنسجمة مع بعضها البعض ومن بين الآثار الفعالة والإيجابية التي تترتب عن هذه المرحلة وما تتركه في نفسية الفرد والمجتمع.

– دخول الفكرة الدينية إلى حياة الفرد إيجابية حيث تعمل على تغير نفسية الفرد وتطوير وتنمية سلوكاته وتصرفاته، بحيث يصبح بواسطة هذا التغيير إنسان له دوره و مكانته الفعالة في المجتمع، وهذا يؤدي إلى بدايات لتأسيس حضاري:« وهذا الإنتقال من البدائية الراكدة إلى الحياة العاملة الناشطة، هو الذي سجل بداية حضارة ما أو نهضة معينة، لكن هذا الإنتقال يظل في التاريخ من الظواهر غير المفهومية لو أن تستلزم وسائل غير التي تقدمها البيئة ولو أنه إستخدم في الحصول على تلك الوسائل شيئا غير ما تمنحه من قدرات طبيعية يسيطر بها على ذاته وعلى وقته»[2].

– بواسطة التغيير أو التحول التربوي الذي ساهمت به هذه المرحلة، في تحسين من سلوكات وتصرفات الفرد وتجديد في نفسية الفرد و تنظيمها وضبطها، وكما مس هذا التحول حركة المجتمع، وذلك في بروز وظهور علاقات إجتماعية متفاعلة ومنسجمة مع بعضها البعض مما يشكل شبكة علاقات إجتماعية:« فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان، هي التي تلد العلاقة الإجتماعية، وهذه يبررها تربط مابين الإنسان وأخيه الإنسان فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الإجتماعية والعلاقة الدينية مع من الوجهة التاريخية على أنها حدث ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور إجتماعي واحد»[3].

– مرحلة العقل:

[1]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 76.

[2]– مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 98.

[3]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 56.

وهي المرحلة الثانية من الدورة الحضارية حيث في هذه المرحلة يتقدم بكل سيادته ويتولى مهمة القيادة وبالتالي يسيطر على جميع الخصائص والملكات وفي هذه المرحلة يكون إنتشار وظهور أكثر للفكرة الدينية وبالتالي يزداد المجتمع تطورا وبها تقوى وتنمو أكثر وأكثر علاقات المجتمع ويسير في مرحلة الإزدهار التي يميزها الإختراع والإبداع في مجالات عدة.

وتتقدم وتتطور العلوم والفنون، وهذا ما يؤدي بدوره إلى إنتشار في الحضارة وإمتدادها ويكون ناتج عن تراجع دور " الفكرة الدينية" وفاعليتها وعدم قدرتها على السيطرة على العقل فتحرر الغرائز وتنتشر وبالتالي يتفكك المجتمع وعلاقاته وظهور بشكل واسع لمظاهر الظلم والفساد والتخلف وهذا ما يؤدي إلى هدم العمران وكل بناء حضاري:« فدورة من دورات الحضارة تولد في بعض الظروف النفسية الزمنية توقفت تلك الدورة لتبدأ أخرى في ظروف جديدة بدورها إلى ظروف مختلفة. فهذا هو القانون الذي خط على مراتين خلال التاريخ ذلك (الطريق الصاعد)، الطريق الذي منحته البشرية في بطء وروية، وبذلك تمتزج غاية التاريخ بغاية الإنسان»[1].

- مرحلة الغريزة:

وهي مرحلة السقوط والإنهيار الحضاري، حيث في هذه المرحلة يكون تحريك كلي لغرائز وفي هذه المرحلة ينتهي الدور الذي تتأخده " الفكرة الدينية" وذلك بسبب الانتشار والامتداد الواسع للغرائز وتحريرها في المجتمع، حيث أنها تصبح عاجزة كل العجز عن أداء مهامها ووظائفها بسبب إنحلال وتفكك البنية الأخلاقية للمجتمع وبالتالي تحرر الأفراد وظهور الأشكال السلبية وهذا ما يؤدي إلى سقوط وهدم الحضارة وموتها:« وعندما يبلغ هذا التحرر تماما الغريزة التي تكشف عن وجهها تماما وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية "للفكرة الدينية" التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل

[1]– مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 178.

التاريخ وبذلك تتم دورة الحضارة»[1] (إنما الدوافع السلبية التي خلفتها(صِفِّين) في المجتمع الإسلامي يوما فيوما، إلى أن أتى القرن الثامن الهجري، فأخذت الحضارة الإسلامية في الأفول وبدأت الظلمات تغمرها في الأندلس)[2].

وعليه يمكن القول بأن الدورة الحضارية عند مالك بن نبي تمر بثلاث مراحل، هي مرحلة الروح، ومرحلة العقل، ومرحلة الغريزة:« المراحل الثلاث في هذه الدورة تعبر عن الأدوار الثلاثة التي يمر بها: الحالة الكاملة، فيها تكون جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة (الروح)... والمرحلة التالية هي المرحلة التي تكون فيها جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة (العقل)... أما المرحلة الثالثة فتصور نهاية تحللها تحت سلطان الغرائز المتحررة من وصاية الروح والعقل، فيها يصبح النشاط المشترك مستحيلا»[3]، أي أن بواسطة هذه المرحل تساهم في حركة التاريخ وعليه يجعل الحضارة في حالة تعاقب دوري.

[1]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 69.

[2]– مالك بن نبي، التأملات، مصدر سابق، ص 44.

[3]– بدران بن مسعود بن حسن، مرجع سابق، ص 80.

خلاصة:

بعد الإطلاع والخوض العميق في مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأهم شروطها وعناصرها ومراحلها، يقودنا القول بأن مالك بن نبي كانت غايته وهدفه هو النهوض بالحضارة الإسلامية وإحيائها وإعادة أصالتها، والمحافظة عليها من أي إنهيار، وكان ينادي على تكريس كل الجهود والقوى من أجل النمو والرقي بالحضارة العربية الإسلامية، وجعلها في أعلى مراتب التطور، ومن خلال ما تعرفنا عليه من خلال دراستنا لفكره الحضاري وجدنا أنه يعتمد ويستند في بناءه الحضاري على المجتمع بأكمله، لأن التغيير الحضاري وتجديده يكون بواسطة أفراد المجتمع وليس على فردا واحدا فقط، تحت تشكيل إطار شبكة من العلاقات.

وقد إعتمد في بناءه الحضاري على شروط واجب توفرها وهي عنصر الإنسان والتراب والزمن، لأن لهما دور وأهمية كبيرة في الإنجاز الحضاري ويربط بينهما رابط وهو " الفكرة الدينية " لأن الفكرة الدينية لها أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع لها علاقة حركة وسير التاريخ وهو ما نلاحظه أن مالك بن نبي لا يسقط ولا يستغني عن الفكرة الدينية في جميع مناقشاته وكتاباته.

وعليه إن بدايات وإنطلاقات التجديد والنهوض الحضاري يبدأ من الإستعدادات المتوفرة في ذات ونفس الإنسان لأنه من خلال هذه الاستعدادات يمكن له أن يساهم في البناء وتقدم الحضارة ويقول تعالى:« إِنَّ الله لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيّرُواْ مَاْ بِأَنْفُسِهِمْ» ويمكننا القول بأن تغيير النفس شرط إلزامي لأن من خلاله يكون التغيير والتجديد الحضاري.

الفصل الرابع:

علاقة التربية بالحضارة عند مالك بن نبي

تمهيد

المبحث الأول: نظريا

1/ الإستراتيجية التربوية للتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي

2/ أولويات التربية من أجل التغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي

3/ عوامل التغيير الإجتماعي (الأبعاد التربوية لعملية التغيير الإجتماعي)

المبحث الثاني: عمليا

1/ تأثير فكر مالك بن نبي في العالم الإسلامي" ماليزيا نموذجا"

2/ الأهداف والأولويات والإهتمامات التربوية " لدى ماليزيا"

خلاصة

تمهيد:

لقد جعل مالك بن نبي من التربية كعامل للنهوض والبناء وجعلها وسيلة للإستقرار والنمو الإجتماع، فالتربية إعتبرها مالك بن نبي كأداة تهتم بالسلوك الإنساني وبمبادئه وتشكيل الأخلاق، ويكمن الدور الجوهري للتربية الصلة الوطيدة بعنصر الإنسان، حيث تهتم بنموه وإعداده وتأهيله بإعتباره العامل المسؤول على عملية البناء والتغيير في إطار الإهتمام بدارسة فكرة التغيير وعلاقتها بالتربية، نجد مالك بن نبي كانت إنطلاقاته من عنصر الإنسان كبدايات للتغيير وهنا تكمن الحقيقة التربوية، حيث أن الحديث عن الإنسان ودوره ينجم وينجر عنه بالضرورة الحديث عن التربية، وهذا ما سوف نتعرف عليه أكثر في هذا الفصل في دراسة وتناول موضوع التربية وعلاقتها بالتغيير الإجتماعي، وما العلاقة وطبيعة العلاقة التي قد تجمعهم وتجمع بينهم؟

المبحث الأول: نظريا

1/ الإستراتيجية التربوية للتغيير الإجتماعي

أثناء الحديث عن العلاقة التي قد تجمع كلا من التربية والحضارة تعني في نفس السياق الحديث عن طبيعة العلاقة بين التربية و التغيير، بإعتبار أن التغيير والتجديد هو الذي يرمي إلى إنشاء وصناعة حضارة، ومالك بن نبي قد نجده جعل من الإنسان بحجر أساسي أو مادة أساسية في البناء والتعمير، حيث أنه المخلوق المكرم من عند الله تعالى الذي ميزه بهبة العقل والحكمة في **قوله تعالى:** « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ** »[1]، ويقول مالك بن نبي:« نجده قد جعل من البرنامج التربوي ذات بعد كبير في النهوض الحضاري، برنامج تربوي يهدف لتغيير الإنسان من الداخل وفق شروط معينة حتى يتمكن من أداء وظيفته الإجتماعية ويحقق البناء في المجتمع المتحضر ».[2]

وعليه فإن التربية تستوجب تواجد عنصر الإنسان ويستحيل غياب هذا الأخير عن التربية، وقد جعل مالك بن نبي الإنسان المحور أو الركيزة الصلبة التي تبنى عليها عملية التغيير الحضاري، حيث قال في هذا السياق:« إن الإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الإجتماعية لهذه المعادلة والتي هي: **إنسان+ تراب + وقت = حضارة** لأن التراب والوقت لا يقومان إذا إقتصرت عليهما فحسب بأي تحويل إجتماعي ».[3]

وهذا يوضح أكثر ذلك البعد التربوي للتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي، فالتربية والتغيير عنده يشتركان ويتداخلان في نفس الموضوع ونفس الهدف الذي هو تربية الإنسان وتحقيق التغيير – تربية الإنسان بما يحقق التغيير ».[4]

---

[1]– سورة الإسراء، الآية (70).

[2]– جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 38.

[3]– مالك بن نبي، مصدر سابق، ص 53.

[4]– محمد بغداد باي، تربية إنسان ما بعد الحضارة، مرجع سابق، ص 164.

ويمكن إستدراج الأمر عند مالك بن نبي في ربط التربية بالتغيير وبإعتبارهما عمليتان إلزاميتان وكل واحدة منهما تتطلب وتستوجب الأخرى، حيث قال في ذلك مالك بن نبي:« أينما وجد التغيير وجدت التربية، وأينما وجدت التربية وجدت التغيير ».[1]

ويمكن التصريح بأن العلاقة التي قد تجمع بين التربية والتغيير هي علاقة عضوية تكاملية تلازمية، وبهذه الصلة أو العلاقة الوطيدة بينهما يمكن وضع مصطلح بالتربية التغييرية أو التربية التحضرية، وذلك لإشتراكهما في العمل نفسه أو الغاية نفسها، فهما يستندان على بعضهما البعض، وعندما نلفظ بمصطلح التغيير يعني ذلك التغيير أو التعديل في السلوك ويكون هذا التغيير نتيجة الفعل الخارجي الذي يكون مقصود في العملية التربوية « نجد أن الأثر المنتظر الذي هو التغيير يكون نتيجة الفعل الخارجي المقصود الممارس على الموضوع والذي هو التربية ».[2]

وعليه يمكن إيضاح القول أكثر:« التربية قد تتخذ من التغيير موضوعا وهدفا ويتخذ التغيير من التربية وسيلة له ومنهجا ».[3]

ويمكن أن نقول عن ذلك بأن« التغيير يوضع كهدف وموضوع للتربية وهذا ما يبدو لنا جد بارزا وواضحا في فكر مالك بن نبي التربوي وذلك يجعل الإنسان هو محور دراسته وكعنصر أساسي في البناء والتجديد، وذلك من خلال الإعتناء به وبمختلف أبعاده سواء كانت نفسية أو جمالية أو أخلاقية أو عملية....إلخ، ولكن يكون ذلك بممارسة تأثير الفعل عليها بما يحقق التغيير المرغوب منه الذي هو هدف التربية المنشود ».[4]

[1]– محمد بغداد باي، المرجع نفسه، ص 164.

[2]– المرجع نفسه، ص 165.

[3]– المرجع نفسه، ص 165.

[4]– المرجع نفسه، ص165.

وتبرز التربية كوسيلة وكمنهاج للتغيير من خلال الممارسة التربوية التي تتطلب إنتقاء الأهداف وترتيبها[1]، أي إختيار أفضل الإستراتيجيات و التخطيط في ظل وجود التربية كوسيلة و كمنهاج للتغيير.

ونجد مالك بن نبي ينظر للتربية بأنها تلك الوسيلة أو الأداة الجد فعالة والتي لها دور كبير في السمو بالانسان وتغييره وذلك بتحمله جميع الادوار التي قد تساعده في بناء علاقاته مع أفراد مجتمعه ويبني بذلك شبكة علاقات إجتماعية مشتركة حيث يقول مالك بن نبي:« وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم بمجموعة القوى التي تعتبر شرائط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ ».[2]

يري مالك بن نبي بأن التربية تساعد في صياغة واقع اجتماعي وثقافي في الوقت نفسه فالتربية تعمل علي كشف جميع الطاقات أو المواهب المخزنة والتخلص من جميع أشكال الركود أو التخلف الاجتماعي بمعني أن التربية تعمل علي تحويل حالة المجتمع وتغييره من وضعه الساكن إلي وضع حركي متقدم ومزدهر، ونجد مالك بن بن نبي يستند في ذلك علي بعدين أساسيين في عملية التغيير والتجديد (معرفة معوقات للتغيير ومن ثم تصفيتها وإزالتها، وهو ما يسميه مالك بن نبي بعملية التجديد السلبي أي انه تجديد يتم بطريقة سلبية تحدث القطعية مع رواسب وموروثات الماضي.

[1]– محمد بغدادي، المرجع نفسه، 165.

[2]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 100.

معرفة عوامل التغيير ومن ثم العمل على ترسيخها وهو ما يسميه مالك بن نبي بالتجديد الإيجابي الذي يقوم بوظيفة مد وتطعيم الثقافة بأفكار جديدة بناءة تصلها بالمستقبل وبالحياة الكريمة.[1]

2/ أولوية التربية من أجل التغيير الاجتماعي في مجتمع ما بعد الحضارة

يرى مالك بن نبي أن كل مجتمع يختلف عن الأخر وقد يكمن الإختلاف في طريقة العيش في المأكل والمشرب، العادات والتقاليد والثقافة...إلخ وتختلف المشكلات التي يعاني منها مجتمع عن باقي المجتمعات الأخرى، وقد تتعدد هذه المشكلات وتتفاوت وهذا يعود إلى تنوع وتعدد المجتمعات وإختلاف المراحل وتاريخه التي يعيشها كل مجتمع، ويرى مالك بن نبي إذا أردنا أن نتخلص من هذه المشكلات وتقوم بحلها وتعينه وفق معطيات وظروف ومستلزمات إجتماعية: « تحتم علينا في حل المشكلات الاجتماعية أن ننظر مكاننا من دورة التاريخ أن ندرك أوضاعنا وما يعتريها من عوامل الإنحطاط ما تنطوي عليه من أسباب التقدم.

وعليه فإنه لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مفعلا مكان أمته ومركزها، بل يجب أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع مقتضيات المرحلة التي فيها أمنه أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب فإن ذلك تضييع للجهد ومضاعفة للأداء ، إن كل تقليد في هذا الميدان جهل وإنتحار »[2]

ويرى مالك بن نبي ضرورة التمييز بين الإنسان الخارج من نهاية دورة حضارية كما هو حال الإنسان المسلم اليوم ومشاكل الإنسان السابق لدخول الحضارة، والإنسان الداخل في الحضارة فالمسلم اليوم مسلوب الحضارة: « إذ الإنسان الذي تفسح حضاريا مخالفا تماما

[1]– دهيمي زينب، فريد بوبيش، **الإستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة دراسات تقنية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 11، ديسمبر، 2013، ص139.

[2]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص ص 47–48.

للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة فحسب، كما هو الحال مع الثاني الذي سميناه فيما سلف الإنسان الطبيعي، إذ الإنسان مسلوب الحضارة لم يعد قابلا لإنجاز عمل محضر إلا إذا تغير هو نفسه عن جذوره الأساسية ».[1]

ويرى مالك بن نبي في مجتمع ما بعد الحضارة والمشكلات التي يعاني منها يكون في ذلك بأمس الحاجة إلى معايير التربية، وذلك كعامل أساسي للنهوض والتغيير والتجديد حيث يقول في ذلك: « فالمجتمع المعطل عن إنجاز عمل محضر سواء كان سابقا لمرحلة دخول الحضارة كالمجتمع الجاهلي قبل الإسلام أم خارج من دورة حضارية كالمجتمع الإسلامي اليوم تشيد حاجته إلى التربية كأساس لعملية التغيير الاجتماعي باعتبار أن الإنسان الفاقد للروح المغيرة وتقييم الفعالية ولإرادة التغيير تنبع مشكلته من داخله من نفسه التي تحتاج إلى إعادة في الصياغة، وتعديل في الإرادة و القيم وبث لروح التغيير، وما مشكلة تربوية بالدرجة الأولى »[2]

ويطرح مالك بن نبي تميزا بين الإنسان المسلم في العالم الإسلامي اليوم، والإنسان الأوروبي في المرحلة الإستعمارية وتكون المقارنة من حيث الجانب النفسي والتربوي، حيث قال:« وإذا قارنا نفسيا وتربويا بين إنسان أوروبا في المرحلة الإستعمارية خاصة وإنسان في العالم الإسلامي اليوم، فسنجد الأول ممثلنا بروح والسطوة والشعور بالثقة والتفوق، بينما الثاني يعيش حالة نفسية وتربوية يتحكم فيه الضعف والإضطراب والسلبية والتخلف والشعور بالنقص والقابلية للإستعمار والقابلية للتبعية، فالأول في حالة تربوية إيجابية فعاليتها من

[1]– المصدر نفسه، ص 70.

[2]– علي القريشي، **التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1989، ص 121.

طوره الإجتماعي الخاص، والثاني في حالة تربوية سلبية إكتسب لا فعاليتها من طوره الاجتماعي الخاص به ».[1]

إن المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف بإختلاف بيئته، فالإنسانية لا تعاني من مشكلة واحدة، بل مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ، فلا يمكن أن نقارن في الوقت الحاضر بين رجل أوربا المستعمر ورجل العالم الإسلامي القابل للإستعمار، لأن كليهما في طور تاريخي خاص به، فنجد أن رجل أوربا لا يتمتع بتوازن إقتصادي في حياته، فهناك إضطراب ينتج عن عدم الملاءمة بين حاجاته وتيار الإنتاج الصناعي المسرع، وهي عبارة عن حركة مضطربة لا يشعر بها شعب لا يعيش في مجال هذا التيار، بينما البلاد الإسلامية على نقيض ذلك أزمتها ليست في الحركة بل في الركود، فهو مشكلة الإنسان التوطن فيها الذي عرف عن الحركة وقعد عن السير في ركب التاريخ، فالأمر في الحالة الأولى يتعلق بحالات غير مشتبهة وديناميكية مضطربة على حين يتعلق في الأخرى بعادات راكدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد وخمول تام، وفي الوقت الذي خطت فيه الحضارة خطوات العماليق.

فالأمر متصل بمشكلتين مختلفتين في أساسهما، فهناك هم في حاجة إلى مؤسسات بينما نحتاج هنا إلى رجال، فمن الرجال تتبع المشكلة بأكملها والمسألة هي يجب أولا أن نضع رجالا يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى.[2]
وعليه يمكن أن نقول بأن المعضلة الأولى تحتاج إلى حل يستلزم علاج المؤسسات بالدرجة الأولى، والمشكلة الثانية تتطلب حل يتعلق بالتربية والإعداد لنفسية الإنسان يساهم في البناء الحضاري وتعبر التاريخ وفق نفسية أفضل وأحسن.

[1]– مرجع سابق، ص 122.

[2]– مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 75.

فتحديد المشكلة الأساسية في المجتمع مرتبط بتحديد المرحلة التي يعيشها المجتمع في ضوء الرؤية الحضارية، وبالتالي فالأساس التربوي للتغيير سيكون أكثر ضرورة للمجتمع الذي يعاني من الركود النفسي منه للمجتمع الذي يعاني من مشكلة لا تتعلق بفعالية كإنسان.[1]

ومنه يمكننا أن نصرح بالقول بأن أي تغيير أو تجديد أو إصلاح يتطلب ويستلزم في البداية دور التربية ومبادئها.

3/ عوامل التغيير الإجتماعي (الأبعاد التربوية لعملية التغيير الإجتماعي)

إن هذه العوامل يراها مالك بن نبي كفيلة بإعادة البناء الإجتماعي وتكون موجهة ومتصلة ولها علاقة بالمجتمعات الإسلامية بإعتبار أن الإنسان هو المادة الأساسية لعملية التغيير والتجديد. وقد جعل مالك بن نبي من هذه العوامل مبدأ أو نقطة التغيير ومن بين هذه العوامل نذكر أهمها:

– **تربية الإرادة:** إن الإنسان المسلم في تصور مالك بن نبي في أمس الحاجة إلى هذه التربية " تربية الإرادة "، حيث أن هذه الأخيرة تستطيع أن تجعله أكثر جدية وفاعلية وأكثر إطلاعا على واقعه الإجتماعي، حيث يصبح قادرا على مواجهة أنماط التخلف بمختلف أشكاله ويصبح بالتالي أكثر حيوية ونشاطا ويتجه نحو بوادر التجديد والتغيير، وتصبح له القدرة على مواجهة الصعوبات مهما اختلفت وتعددت، وهذا ما يصنع بدايات التحضر ورسم المعالم الكبرى للتجديد والتغيير« إن من أولويات التغيير المنشود عند مالك بن نبي الإنسان المسلم تعويده على العمل الدؤوب والمتواصل، والتعامل بطريقة صحيحة مع حيثيات واقعه في ظل تخطيط مسبق براعي حوافز العمل وطرقه، ووسائله وغاياته، والمدرك لقيمته المادية والمعنوية معتمدا في ذلك مبدأ التدرج الذي يتولد عنه إكتساب الخبرة ومبرزا في الوقت مكانه كل من القلب والعقل واليد في كل نشاط ذي مغزى ».[2]

[1]– علي قريشي، مرجع سابق، ص 122.

[2]– دهيمي زينب، فريد بوبيش، مرجع سابق، ص 139.

وعليه يمكن أن نقول يمكن أن تساهم التربية دورها في الزيادة من نشاط وحيوية القدرات العضوية للإنسان، بحيث لا يمكن للإنسان أن يمارس أي نشاط أو يسمو بالمعالم الحضارية في ظل غياب هذه العوامل أو العناصر، بإعتبارها العوامل التي تحرك كيانه.

- **غرس فكرة الواجب قبل الحق:** نجد مالك بن نبي يعطي للفكرة الحق و الواجب المرتبة الأولى مقابل فكرة الحق، أي يجب أداء الواجب وتحقيق المسؤولية الإجتماعية قبل المطالبة بالحقوق الفردية، وهذا الجانب يجب توفره في الإطار والعمل التربوي من أجل تحقيق التغيير الإجتماعي، فالمطالبة بتحقيق الواجبات وتقدمها على الحقوق يؤول على أن المجتمع يسير في طريق البناء والنمو والتقدم الحضاري حيث يقول مالك بن نبي: « المجتمع الذي يرتفع وينمو فإن ذلك يعني أن لديه رصيدا من الواجبات فائضا على الحقوق ».[1]

- **القيمة الإجتماعية للوقت والتراب:**

إن عنصر الوقت والتراب يعدان من أهم العناصر في البناء الحضاري لدى فكر مالك بن نبي فوجدهما أمرا وشرطا مستلزما وضروريا، ومن أجل إحداث عملية التغيير والتجديد الإجتماعي ولا تظهر قيمة كلاهما إلا من خلال الحيوية الفعالية للإنسان التي يبادر بها عنصر الإنسان في وسط مجتمعه حيث أنه إذا كان الإنسان وعمله لع غاية وكان للتراب والوقت أهمية وقيمة بالغة والعكس صحيح، أي أن الإنسان هو الذي رسم المعالم العليا للقيمة التراب والوقت بإعتباره العنصر المكرم في الأرض و الذي تقوم وترتكز عليه عملية البناء والتعمير:« فكر نشاط إجرائي منظم يقوم به الإنسان واقع في جانبه المعنوي التقديري بالضرورة في إطار الزمن الذي يحدد بدايته ونهايته، ومتصل في جانبه المادي و الموضوعي لا محالة بالتراب الذي يتعامل معه »[2]

[1]- المرجع نفسه، ص 140.

[2]- المرجع نفسه، ص 141.

وإن القيمة التي يجب إسترجاعها للتراب والوقت عند مالك بن نبي تكون عن طريق التربية حيث أن التربية يكون دورها غرس المبادئ و العبر الأخلاقية في نفسية وذات الفرد وذلك يكون أخذ بعين الإعتبار أهمية العنصرين والدور الكبير لهما، فقيمة التراب نجدها في إمتلاك تلك المساحات الشاسعة وماتنتجه تلك المساحات من إنتاج، فالتراب له قيمة وأهمية إجتماعية حيث يساهم في التقدم والبناء الحضاري والنهضوي، وتكمن المكانة الجوهرية للزمن عند مالك بن نبي في قوله:« وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا »[1]

ويجب على التربية أن تأخذ بعين الإعتبار قيمة الفذة للتراب و الوقت وجعل الفرد والمجتمع أكثر وعيا لهذه القيمة والمكانة الكبيرة لهما في السمو والعلو بالحضارة والتاريخ يخضعان إلى هذان بشرطين وعليهما تبني الحياة والعكس صحيح.

- تصفية الثقافة من ذهان السهولة والإستحالة:

أ/ ذهان السهولة:

يرى مالك بن نبي بأن من بين المعوقات و شلل التغيير الإجتماعي الذي يطرأ على الإنسان المسلم وهو عبارة عن شلل فكري يتمثل في صورتين ذهان السهولة وذهان الإستحالة، ويرى مالك بن نبي أن الذهان في الجزائر يقوم على ثلاث قواعد:

- لسنا بقادرين على فعل شيء لأننا جاهلون.
- لسنا بقادرين على أداء هذا العمل لأننا فقراء.
- لسنا بقادرين على تصور الأمر لأن الإستعمار في بلادنا[2]

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 146.

[2]- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 89.

ذهان السهولة:

وهو يتمثل في صورة النظر إلى الأشياء بشكل أسهل ومبسط أي لا تحتاج إلى تعب أو عياء ولا تتطلب أي جهد، ومثال ذلك القضية الفلسطينية حيث كانوا العرب ينظرون للقضية الفلسطينية نظرة سهولة وبساطة وأن اليهود لن يمكث إلا شهور ويرحل من الأرض الفلسطينية، ولكن لسوء الحظ نحن نشاهد وجودهم لحد الساعة وهذا مايوحي ويدل على الإستهانة والإستهزاء بالشيء: « ونجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد إعتمد في الدعوة فضل التربية الطويلة، ولم يعتمد على المعجزة السهلة »[1]

ب/ ذهان الإستحالة: وهو عكس السهولة أي يتمثل في صورة النظر إلى الأشياء على أنها مستحيلة ويعجز عن تحقيقها بمعنى أن المسلم أن الأمور و الأشياء مستحيلة ويعجز كل العجز عن تحقيقها وهي في حقيقة الأمر سهلة غير مستحيلة وقد نجده يستصعب الأمور ويستحيل تحقيقها من أجل عدم إتعاب نفسه في البحث وإيجاد الحلول، ومثال عن ذلك أن الشعوب المسلمة كانت ترى من الأمر المستحيل والمستصعب إخراج العدو المستعمر من أرضهم، أي صعوبة إسترجاع ممتلكاتهم وثرواتهم المنهوبة من طرف العدو[2]

ومنه واجب التربية أن تراعي هذين المرضين وتصفية ثقافة المجتمع كمثل هذه الأمراض لأن هذا يؤدي إلى شلل فكري، وهذا الأخير ينجم وينجر عنه تراجع في حركة النمو وتطوير المجتمع وهدم ثقافة المجتمع، وبالتالي هدم كل ما هو بناء وتغيير وتجديد حضاري.

- التخلص من التبعية والقابلية لها:

جعل مالك بن نبي التبعية والقابلية لها من الأنماط والأشكال التي قد تعرقل وتشلل حركة سيرة المجتمع أثناء سيره في طريق التعمير والتجديد وإستمرار القابلية لها، تؤدي إلى ظهور مخاوف أكثر وأثار سلبية تعود بالضرر على المجتمع.

---

[1]- محمد العبده، مرجع سابق، ص 88.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 88، 89.

- تطبيق المسلم على قيم الديمقراطية:

تعد الديمقراطية من أنماط الإزدهار و الرافهية ولها دورها الفعال والإيجابي الذي تساهم به في حياة الفرد والمجتمع، حيث أنها تساهم في جعل الإنسان حر وتربط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتتمثل حرية الإنسان وتكتمل إلا في ظل حرية ونشاط الآخرين ويقول مالك بن نبي:« و قد جاءت كل الديانات وأعني هنا بجميع المفهوميات الدينية – لترويض الطاقة الحيوية للإنسان وجعلها مخصصة للحضارة، وبناءا على ذلك يضع الدين والحرية الفردية بين حدود عمل المجتمع، والمقتضيات الخاصة بهذا المجتمع »[1]

ويجب أن تساهم التربية في غرس مبدأ القيم الديمقراطية في ذات الإنسان المسلم، لأنه ذلك يخلصه من جميع أنماط التبعية والقابلية للإستعمار وهذا ما يزيد من حجز حريته أكثر بواسطة الديمقراطية وقيمها يتمتع بالحرية التامة ويتخلص من الاثار السلبية، فالديمقراطية تعمل على حفظ حرية الإنسان والمحافظة على كرامته بإعتباره الكائن المتميز على جميع الكائنات الحية وترفع قيمته وتضفي عليه نوع من القداسة، وإذا أردنا أن نعرف شيئا هو الديمقراطية الإسلامية، فإن هذا الشيء يعني أولا " تطعيم" الإنسان وتحصينه ضد النزاعات المنافية للشعور الديمقراطي وتصفية هذه النزاعات في نفسه[2]

فالديمقراطية ومبادئها تعد من القيم الأخلاقية الفاضلة التي بها يرتقي المجتمع، وينمو ولهذا يجب جعلها من إلزاميات الحياة أو من الإلزاميات التي تحفظ بقاء الإنسان ولهذا من واجب التربية أن تجعل القيم الديمقراطية ركائز أساسية في بناء منظوماتها سواء كانت فكرية أو عملية.

ويكمن دور التربية في جعل الإنسان يتمتع بالقيمة التقديرية لنفسه ولغيره لأن هذه الصفات التكريمية خصه الله تعالى بها قبل كل شيء، فهي تعد حق من حقوقه وتتعدد كل

[1]– مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 110.

[2]– المرجع نفسه، ص 148.

الحقوق السياسية والإجتماعية، أي قد كانت الغاية أو الهدف المرجو والمنتظر من التربية هنا غرس قيم الديمقراطية في روح الفرد، وذلك يكون عن طريق الصفة التكريمية لنفسه وبالتالي تصبح كسلوك نابع منه، وهذا ما يؤدي ويساهم حسب مالك بن نبي في زيادة و تطوير العلاقات الإجتماعية وبالتالي تشكل لدينا شبكة من العلاقات التي تعمل على رسم طريق التغيير والتجديد الإجتماعي.

- ربط العلم والتعليم بالحاجات الإجتماعية:

لحد الساعة لا يزال العلم و برامج التعليم مرتبطة وفي إحتكاك كبير مع الحاجات الإجتماعية كالتقاليد وغيرها، وهذا ما يعكس الواقع التعليمي وبالتالي لا تجنى ثمار العلم والتعليم إلا ما هو غير نافع وأفراد غير مثقفين وهذا ما يؤدي إلى هدم المجتمع بأسره « إن العلم السائد في العالم العربي والإسلامي لا يلامس الجراح ولا يقوى على تحقيق المعاناة وحل المشكلات وبالشكل المناسب، وهذا الأمر مرده إلى الفشل في جعل العمل موجها من الفكر بواسطة التربية وبناء ثقافيا جديدا »[1]

يجب أن نسعى إلى العلم والمعرفة من أجل تنمية العقول بمزيد أكثر من العلم والثقافة لكي نسمو بالمجتمع إلى حركة الإزدهار والتطور، أي أن العلم يعد وظيفة من وظائف البناء والإنجاز الحضاري حيث يقول عن ذلك الغزالي: « إن العلم تعبير شامل لكل مجالات المعرفة وتنمية القدرات العقلية والتقنية والحرفية والوظيفية وتنمية الملكات الروحية والفنية والجمالية »[2] ولهذا يجب أن يكون هدفنا من العلم والمعرفة تنوير ذلك الجهد الإنساني من أجل تحقيق كفاءات تعود بإيجابيات والنفع على مجتمعنا وبذلك نبتعد عن كل ما هو تكديس معرفي.

---

[1]- دهيمي زينب، فريد بوبيش، مرجع سابق، ص 144.

[2]- د الكبار عبد العزيز، صغير حياة، **التربية والتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة منيرفا، مجلد 04، العدد 1، قسم العلوم الإجتماعية، ديسمبر 2017، جامعة تلمسان، الجزائر، ص 209.

إن العلم والتعليم يعدان من عوامل أو من الشروط التربوية وهذه الشروط غايتها أو عملها كعناصر بناءة في عملية التغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي:« إن من شأن هذه العوامل أن تتجه في جملتها إلى تنمية الوعي وشحد الإرادة وإيقاظ الضمير وتحريك العضلات والشروط الضرورية التي يراها بن نبي كفيلة لخلق شروط الفعالية لدى إنسان ما بعد الموحدين هذه الشروط التي تمكنه من التخلص من موروثات الماضي الغير نافعة وفي الوقت نفسه إيجاد ظروف مادية ومعنوية جديدة »[1]

ومنه يمكن أن ننظر إلى الإنسان المسلم في تصور مالك بن نبي أنه بتوفر هذه الشروط وإستكمالها يكون قد وصل وتمكن من العلو والصعود إلى قمم التجديد وصنع تاريخ حضاري، قد يكون سر نجاح ذلك أهداف تربوية ساهمت في عملية تغيير حضاري إجتماعي وغيرت من واقع المجتمع وذلك بتلائم وتكيف العلم والتعليم وهذا ما يزيد من قوة و أوج المجتمع والمحافظة على قوته الداخلية أو الخارجية.

المبحث الثاني: عمليا

1/ تأثير فكر مالك بن نبي في العالم الإسلامي" ماليزيا نموذجا"

إنطلاقا من المستوى النظري تبين وتوضح بأن علاقة التربية بالحضارة تجمعهم علاقة وطيدة وعلاقة تكاملية تلازمية متداخلة، و حيث نلاحظ هذا ما أدى إلى تحقيق والوصول إلى أسمى مراتب عليا من التقدم والتطور والوصول إلى معالم النهضة والحداثة وتحقيق تغيير إجتماعي مميز، وحيث يتجلى هذا في النموذج الماليزي، حيث تأثرت ماليزيا بفكر مالك بن نبي وبمشروعه الحضاري والنهضوي وإتخذته قدوة وعبرة في النهوض بمجتمعها وتحقيق نهضتها وحداثتها، ومن المعروف أن ماليزيا دولة عاشت ويلات ومصائب إجتماعية وسياسية وإقتصادية جراء الإحتلال والإستعمار دام سنين طويلة، حيث تعرضت إلى نهب ممتلكاتها وخيراتها مما أدى إلى ظهور سياسة الجهل والإنحطاط والركود في جميع

[1]– ديهمي زينب، فريد بونيش، مرجع سابق، ص 144.

المجالات، حيث خضعت للإستعمار لمدة دامت خمس سنوات كان أولها الإحتلال البرتغالي(1511-1641م) ثم الهولندي(1641- 1824م) ثم الإيطالي(1824-1957م)، وقد كانت هذه الحروب ومخلفاتها السلبية دفعت بالمجتمع الماليزي للتجديد والتغيير والإتجاه نحو طريق النهضة والحداثة.

وقد جعلت من الدين والقيم الدينية حركات إصلاحية وحضارية، فالحضارة الماليزية قد بنت و صنعت مجتمع قوامه الدين والقيم الأخلاقية وذلك رغم إختلاف عقائد الناس.[1]

فالحضارة الماليزية ومجتمعها نجده قد تأسس على تغيير عالم الأفكار، وذلك من خلال نشر مبادئ تربوية دينية نبيلة وسليمة، وبنشر تلك القيم والمبادئ في وسط أفراد المجتمع ونشر العلم الديني السليم والإستفادة من تجارب البلاد الإسلامية التي سبقتها في هذا الإختصاص.

وهذا ما أدى إلى تخلص أفراد المجتمع الماليزي من ويلات الجهل والإبتعاد عن التبعية والتقليد الأعمى وتحقيق التحرر الفكري والروحي، وذلك بتكثيف جهود المنظمات الراغبة في تحرير البلاد من أشكال الإستعمار، بفضل النضال والجهاد عرفوا المعنى الكبير للحرية والحرب الذي دام سنوات طويلة، ورغم ذلك لم نفقد ماليزيا يوما الأمل و لا الصبر، بل حققت بعدها وعلمها وهدفها هو الحرية وتحقيق دولة مستقلة بذاتها عندما إرتقى عالم أفكارها لمستوى القضية مما إنعكس على عالم الأشخاص والأشياء، وهذا ما نجده في فكر مالك بن نبي واضحا وإتخذت ماليزيا من تلك المعادلة الرياضية نقطة بداية وإنطلاق لبناء حضارة وحداثة وتحقيق تغيير إجتماعي قوامه مبادئ دينية تربوية، وإقتدت ماليزيا بفكر مالك بن

[1]- بلال محمد سعيد المصري، **تجربة ماليزيا في التنمية الإقتصادية**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: سمير مصطفى أبو مد لله ، قسم الإقتصاد، كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية جامعة الأزهر، 2016 غزة، ص 53.

نبي وإتخذت من عناصره وشروطها عوامل أساسية وبناءة لنهوض وتحقيق الإنجاز وبناء حضاري.

- كل إنتاج حضاري = إنسان + تراب + وقت.

فماليزيا في بداية نهضتها قامت في بداية وهلتها بتربية الإنسان وإعداده وتربيته على قيم دينية وعقلية وروحية وجسميا وعلى الإيمان بالله تعالى.[1]، ثم حررت الأرض من أشكال ومخلفات الإستعمار، وإتخذت من عامل الزمن عاملا يقتدى به وإستغلال الوقت أفضل إستغلال فيما يحقق النفع والفائدة لأفراد المجتمع.

2/ الأهداف والأولويات والإهتمامات التربوية " لدى ماليزيا "

- إعداد الأفراد عقليا وروحيا وعاطفيا وجسميا قائما على الإيمان بالله وطاعته.

- تزويدهم بالمعارف والمهارات والقدرات ليتحملوا المسؤولية على المساهمة في بناء الوطن والمجتمع.

- ترسيخ الإنتماء الديني وتعزيز الإتجاهات الفكرية والثقافية والسلوكية المبنية على قيم الدين، فيما يتعلق بالأعراق والعواطف المختلفة في ماليزيا لها تعليمها الديني الخاص بها وإعداد المواطنين بصورة أكثر دينامية وإنتاجية لمواجهة تحديات القرن القادم في عملية التنمية الوطنية نحو تحقيق وضع صناعي جديد.[2]

ومنه يمكن التصريح بالقول على أن ماليزيا نموذجا يحتذى به، فالنهضة التي قادها "مهاتير محمد" تماشى على غراره المجتمع بأكمله، وذلك من أجل تحقيق نجاح تغييري إجتماعي جديد وترتقي ماليزيا نحو مراتب عليا، وتصبح في ميزان الدول المتقدمة منه الدول العربية الإسلامية، وبالتالي فماليزيا إستطاعت تحقيق نجاح كبير والوصول بهذا النجاح إلى نموذج تربوي فعال حققت من خلاله النهضة والحداثة والحضارة، وهذا ما إعترف به الرئيس

[1]- بلال محمد سعيد المصري، المرجع نفسه، ص 53.

[2]- بلا محمد سعيد المصري، المرجع نفسه، ص 57.

الماليزي مصرحا بأم الفضل الكبير والأعظم سببه المفكر العربي الجزائري مالك بن نبي بفضله حققت وتوصلت وتمكنت ماليزيا من الوصول إلى قيم النهضة والحداثة بفضل أفكاره الحضارية والتربوية القيمة والنبيلة و التوجيهات والعبر التي جاء بها وتناولها مالك بن نبي في كره[1].

ومنه يمكننا القول أن النموذج أو التجربة الماليزية في التنمية والتطوير نموذج يحتذى به ويستوجب التوجه إليه والعمل به، لأنه يستحق البحث والدراسة لأنها دولة إسلامية إستطاعت بجبروتها وقوتها أن تبني حضارتها وتغير مجتمعها وتاريخها وتجدده وتسمو به وتحرره من كل عدوان داخلي أو خارجي وتحقق الحرية الذاتية والموضوعية، وأثبتت قوتها وإرادتها في وسط الأمم وتحقق نجاحها بين دول العالم العربية أو الغربية.

1- بلا محمد سعيد المصري، المرجع نفسه، ص 58.

خلاصة:

تعتبر التربية عند مالك بن نبي أداة فعالة لها دورها في الوسط الإجتماعي، وقد يراها مالك بن نبي وسيلة كفيلة بتغيير وتحويل الواقع المعيشي من واقعه الساكن المتخلف الذي يسوده الجهل والإنحطاط والركود، إلى واقع متحرك ومزدهر يميل إلى عالم العمران والإزدهار وذلك عن طريق خطط تربوية للتغيير الإجتماعي وأولويات تربوية، وعوامل تساهم في تغيير المجتمع والنهوض به، وبالتالي تحقيق إقلاع وإشراق حضاري، فيكمن سر العلاقة التي قد تجمع وتربط التربية بالحضارة في تلك العلاقة الوطيدة والعضوية المتداخلة بينهما حيث كلما وجدت التربية وجد التغيير الإجتماعي وكلما وجد التغيير الإجتماعي وجدت التربية فهما هدفان لعملية واحدة قوامها النهوض بالإنسان من مرحلة ما بعد الموحدين "الحضارة " والدخول إلى مرحلة التحضر والتقدم، وفي ظل هذا التحضر يصبح بإستطاعة ومقدور الفرد أن يعبر عن قدراته ويتلقى أفراد المجتمع هذه القدرات وهذا ما يزيد من قيمة الحضارة وتطورها ونموها، وبالتالي تحقيق النهضة والحداثة وعليه فالحضارة عند مالك بن نبي تبقى شكل من أشكال الرقي والرفاهية، فتبقى تعبر عن بعض القدرات والإختراعات التي صنعها ويبتكرها الإنسان عبر التاريخ.

ومنه يمكن التصريح بتلك العلاقة التي توجد بين التربية والحضارة وهي علاقة تكاملية لا يمكن تصور التربية دون حضارة ولا حضارة دون تربية، ولا يمكن تحقيق أو الوصول إلى تطور أو تجديد حضاري وتغيير إجتماعي إلا في ظل تواجدهما فهما يشتركان في الموضوع ويشتركان في هدف واحد وهو التربية الإنسان بمعنى إذا توفرت مبادئ قيمة تربوية في الإنسان يتحقق التغيير الإجتماعي والنهوض الحضاري، فيمكننا القول بأنهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن تصور التربية خارج إطار الحضارة والعكس صحيح .

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال معالجة موضوع التربية و الحضارة في فكر مالك بن نبي نكونوا قد توصلنا إلى النتائج التالية:

– فمالك بن نبي يعد شخصية جزائرية فكرية فريدة من نوعها، له طابعه وبصماته الخاصة التي قد ميزته عن غيره من المفكرين العرب، فقد إنتشر فكره وترك بريقا لا معا من العلم والمعرفة، وقد مس فكره جميع نواحي الحياة ولامس الواقع المعيشي، وقد جعل من فكره ومشكلة الحضارة مجالا لإبداعه الفكري، حيث نلاحظ أن جل مؤلفاته جاءت تحت عنوان "مشكلات الحضارة"

– و يدل هذا على أنه كان منشغل ومكرس حياته في دراسة تاريخ ومصير الأمة الإسلامية ووضع وإنتهاج الحلول للخروج بها من مختلف الأزمات التي قد تعرقل نموها ونهضتها فالحضارة عند مالك مالك بن نبي هي الوجه الصحيح للتاريخ كونه تاريخا حضاريا.

– وقد إعتمد في إنجازه الحضاري على بذرة أو الفكرة الدينية وجعلها من مرتكزات مشروعه حيث جعل من الدين تلد الرابط المتين بين العناصر الثلاثة للحضارة، الإنسان– التراب– الزمن، وعند خوضنا العميق والواسع في فكر مالك بن نبي وجدنا أناه لم يناقش ويتطرق إلى دراسة موضوع التربية بشكل مباشر ومصرح به، فقج كان تارة يتناول فرة التربية بشكل ضمني وسياقيوتارة مصرح به، وعليه فقد كانت الثقافة متداخلة جد التداخل مع مفهوم التربية حيث لأن هذه الأخيرة هي المرآة العاكسة لصورة المجتمع، وبالتالي فإن الثقافة تعتبر الدم والقلب النابض للمجتمع فهي التي تساهم في تحقيق بعثة حركية للمجتمع مما يحقق التطور والتقدم الحضاري.

– وقد جعل مالك بن نبي مشكلة الثقافة مثل مشكلة الحضارة وإتخذ من الثقافة نظاما تربويا يتكون من أبعاد متعددة وأهداف ترمي إلى إقلاع وشروق حضاري مميز، فالتربية هي الأساس الذي يحدد ثقافة المجتمع وتحقيق التغيير الإجتماعي.

– فالتغيير الذي ينادي به مالك بن نبي في فلسفته هذه يجب أولا أن يلامس الذات والروح الإنسانية، لأن الإنسان هو أساس هذه العملية التغييرية، وعليه يقوم الإنجاز الحضاري، لأن الإنسان يجب أن يغير ذاته وما في نفسه قبل أن يشرع في تغيير ما في المجتمع حيث قال تعالى: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » الرعد "11"

– فمالك بن نبي نجده عالج ووضع الحلول اللازمة والتي يراعها كفيلة ولها دورها الفعال في تخليص المسلم المتخلف من أشكال الإنحطاط والجهل، حيث وضع بذلك إستراتيجيات تربوية جعل من خلالها ملجأ للخروج من جميع الأمراض والعراقيل التي تواجه طريق النمو والنهوض الحضاري، وتجعل من التربية ذات صلابة إجتماعية لكي يجعل منها عاملا محددا وأساسيا ومهما في عملية التغيير والبناء الحضاري، وجعلها منارة لمعرفة وتحديد أسباب ومعوقات و السلبيات الفتاكة التي تحيط بالإنسان المتخلف والعمل على إزالتها كالشلل الأخلاقي والفكري..إلخ

– عند دراسته لعلاقة التربية بالتغيير وضح أبرز العوامل والأبعاد التربوية التي يراها كفيلة بعملية البناء الإجتماعي، والطابع الذي تتسم به هذه العوامل أنها مطابقة للواقع المعيشي الذي يعيشه الإنسان المتخلف، حيث تعمل على إحداث تغيير إجتماعي وتعمل على غرس المبادئ الأخلاقية وتكوين الصلات الإجتماعية وغرس مبدأ الجماعي وتكوين الذوق العام للمجتمع والمنطق العملي، والعمل على إعداد والتكوين الفني والمهني والصناعي وتنمية الوعي وتربية الإرادة وتوجيه رأس المال، وتوجيه العمل وتوجيه الثقافة،....الخ.

– وقد كان ساعيا في وضع وإقتراح الحلول للخروج من أزمات التخلف والجهل والركود والدخول إلى عالم الرفاهية والتطور، وكان يريد إصلاح أوضاع الأمة الإسلامية من ضعفها إلى قوتها، حيث نجده يراعي فكرة الفعالية لما تساهم به هذه من غروس روح الجدية في العمل في نفسية الإنسان المتخلف الذي يتجرد من سمات المغيرة والقيم الفعالة وإرادة التغيير، وفكرة الفاعلية التي نادى بها مالك بن نبي كانت لها قيمة وهدف ودور كبير في

القضاء والتخلص من الأشكال السلبية والشلل والركود الذي يعرقل حركة الإنسان المسلم نحو بوادر التقدم والتطور والرفاهية، وإذا كان التغيير الذي ينادي وينشد إليه مالك بن نبي ويراعي من خلاله مجتمع ما بعد الحضارة ممزوج ويشمل إطار أوسع من الثقافة، فقد جعل مالك بن نبي من التربية أصل ملازم وجد ضروري للثقافة، لذلك نجده يرى من ضرورة الأمر أن يتصف الإنسان المسلم بأنماط الثقافة وذلك رغبة في إنتاج أفراد مجتمع يتصفون ويتحلون بأسمى أساليب التحضر وتفعيل الحوار الحضاري الإنساني، من جانب آخر تعد الثقافة سمة خاصة لتحقيق النهضة الحضارية.

– إذا كانت أفكار مالك بن نبي ذو مرجعية دينية وذلك لتوطيد العلاقات الإجتماعية وتحقيق شبكة العلاقات الإجتماعية، بالإضافة إلى تحقيق مبادئ الإخاء والمساواة والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد وتنمية العلاقة التي تجمع بين الإنسان ومجتمع.

فمالك بن نبي كانت جهوده وحياته بأكملها تحت خدمة الأمة الإسلامية، وقد سعى بما فيه وعمل على إعادة وإسترجاع الحضارة العربية الإسلامية إلى قوتها وصلابتها، فالحضارة بالنسبة إليه تعد بمثابة القلب النابض له فقد كانت روح حية تنبض فيه، وكانت الحضارة عنده أكثر واقعية ومصداقية مطابقة للواقع المعيشي، كما عمل على إحياء الحضارة من الناحية الروحية والمادية.

– يمكننا القول بأن مالك بن نبي رغم الظروف التي عاشها والأزمات التي قد واجهته في حياته، إلا أنه لم يتقيد بأي ظروف سواء من الناحية المكانية أو الزمانية فأفكاره مازالت لها دور فعال وساهمت في تحقيق نظاما وإصلاحا تربويا في جميع الميادين.

– وقد نال فكر مالك بن نبي إستقبالا واسعا وإنتشارا مبهرا في دول العالم العربي والغربي وكانت من بين هذه الدول نذكر ماليزيا التي إنطلقت من أفكار مالك بن نبي و إستطاعت أن تبني من خلاله نموذج تربوي فعال، فحققت من خلاله النهضة والحداثة والحضارة.

وهذا دليل على أن أفكار مالك بن نبي لا زالت حية وفعالة وحققت تغيير حضاري أشرقت من خلاله الأمة الإسلامية.

– وفي الأخير نستنتج أن هناك علاقة بين التربية والحضارة في فكر مالك بن نبي، فنجده قد ألح على العلاقة الوطيدة والمتداخلة والعضوية التي تجمع بينهما، حيث عند حديثنا عن التربية نكون نتكلم في نفس الوقت عن الحضارة فهما وجهان لعملة ولحقيقة واحدة، وعليه فقد كانت التربية بالنسبة لمالك بن نبي هي أداة لتحقيق معاني التحضر ذلك لأن البناء الحضاري هو مبرر وجود التربية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- **القرآن الكريم:**

- سورة الإسراء، الآية (70).

- **الكتب:**

1/ مالك بن نبي، **التأملات** ، دار الفكر، ط1، 1979، دمشق، سورية.

2/ مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، (تر) عبد الصابور شاهين، دار الفكر، ط4، 1987 دمشق، سورية.

3/ مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، دار الفكر، ط1، 1991، دمشق، سورية.

4/ مالك بن نبي، **المسلم في عالم الإقتصاد**، دار الفكر، ط3، 1987، دمشق، سورية.

5/ مالك بن نبي، **شروط النهضة**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992 الجزائر.

6/ مالك بن نبي، **فكرة الإفريقية الأسيوية**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3 1992، الجزائر.

7/ مالك بن نبي، **فكرة الكومنويلث إسلامي**، تر: الطيب شاهين، دار الفكر ط1، 1960 دمشق، سورية.

8/ مالك بن نبي، **مذكرات شاهدة للقرن**، دار الفكر، ط2، دس، دمشق، سورية.

9/ مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**،(تر) بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر دمشق، سورية.

10/ مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، دار المعاصر، 1984، دمشق، سورية.

11/ مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، (تر): عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1968 دمشق، سورية.

12/ مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، (تر): شاهين عبد الصبور، دار الفكر، ط1 2002، دمشق، سوريا.

ثانيا: المراجع:

أ/ الكتب

1/ الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، دار الخليل العلمية، ط خاصة 2013، الجزائر.

2/ بدران بن مسعود بن حسن، **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي** دار الكتب القطرية، ط1، 1999، قطر.

3/ جيلالي بو بكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، 2010، باب الواد الجزائر.

4/ شعيب شنوف، **الحركة الإقتصادية في الدول النامية عالمية مالك بن نبي والعولمة الغربية**، دار المحمدية العامة، 2003، الجزائر.

5/ الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهادي، ط1، 2006 بيروت، لبنان.

6/ عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره** ، شبكة العربية للأبحاث والنشر ط1، 2012، بيروت، لبنان.

7/ عبد الله عبد الدايم، **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، 1973، بيروت، لبنان.

علي القريشي، **التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1989.

8/ الكندري لطيفة، ملك بدر محمد، **تعليقة أصول التربية**، ط3، مكتبة الفلاح، 2008 الكويت.

9/ محمد العبده، **مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي**، دار القلم، ط1، 2006 دمشق، سورية.

10/ محمود السيد سلطان، **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ**، دار المعارف، 1979 القاهرة، مصر.

11/ محمود فاضل الجمالي، **تربية الإنسان الجديد**، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل 1967، تونس.

12/ مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط دس، دب.

2/ المعاجم والقواميس:

1/ إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،(د ط) 1983، القاهرة، المادة (التربية).

2/ إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط10، ج5، دار صادر، 2003، تونس.

3/ جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية واللإنجليزية واللاتينية** ، دار الكتاب الفلسفي، 1982، لبنان، المادة (التربية).

4/ لمجد الدين الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج2، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط1، 1986، بيروت.

5/ المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيسات، حامد عبد القادر محمد علي النجار،ج1.

3/ المجلات:

1/ دهيمي زينب، فريد بوبيش، **الإستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي** مجلة دراسات تقنية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 11، ديسمبر 2013.

2/ الكبار عبد العزيز، صغير حياة، **التربية والتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة منيرفا، مجلد04، العدد1، قسم العلوم الإجتماعية، ديسمبر2017، جامعة تلمسان الجزائر.

3/ مصطفى النشار، **مالك بن نبي من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري**، العقيدة، العدد الخامس عشر.

4/ وجدان كاظم عبد الحميد التميمي، **مفهوم التربية من وجهة نظر الفلاسفة**، جامعة القادسية، كلية الإدارة والإقتصاد، قسم الإقتصاد، مجلة كلية التربية، المجلد2، العدد1.

4/ الرسائل الجامعية:

1/ إبراهيم هياق، **إتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو الإصلاح التربوي في الجزائر أساتذة متوسطة أولاد جلال وسيدي خالد نموذجا**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: علي بوحناقة، قسم علم الإجتماع كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،2011 قسنطينة.

2/ أرفنير علي، **إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: معيرش موسى، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

3/ بلال محمد سعيد المصري، **تجربة ماليزيا في التنمية الإقتصادية**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: سمير مصطفى أبو مدلله ، قسم الإقتصاد، كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية جامعة الأزهر، 2016،غزة.

4/ جمال بروال، **الدورة الحضرية بين فكر مالك بن نبي و أزوالداشينجلر**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: عبد المجيد عمراني، قسم العلوم الإنسانية و الإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، 2013، باتنة.

5/ حسن موسى محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: صالح حسن الرقب، قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، 2005، غزة.

6/ زيرق دحمان، **التربية في الفكر الإسلامي المعاصر محمد الغزالي نموذجا**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: إبراهيمي الطاهر، قسم العلوم الإجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، 2016، بسكرة.

7/ العابد الميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الإجتماع، تحت إشراف: نور الدين زمام، قسم العلوم الإجتماعية، 2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

8/ لويزة العمري، **نظرية الثقافة عند مالك بن نبي دراسة تحليلية نقدية**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: خالد عيقون، قسم اللغة العربية والأدب العربي، 2014، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

9/ محمد بغداد باي، **تربية إنسان ما بعد الحضارة "قراءة تربوية نوعية لفكر مالك بن نبي"** رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: إبراهيم ماحي، قسم علم النفس والأرطوفونيا 2016، جامعة وهران 2.

الملخص

الكلمات المفتاحية:

– الحضارة، التربية، التغيير الإجتماعي، الإنسان، الزمن، التراب، عالم الأفكار، عالم الأشخاص، علم الأشياء.

الملخص:

من خلال هذه المذكرة حاولت جاهدة على تبسيط مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وتحليل عناصرها وشروطها، وتبسيط كذلك مفهوم التربية عنده وتحليل أبعادها وأهدافها وتوضيح وضبط العلاقة المتداخلة بين التربية والحضارة عند مالك بن نبي، كما نعرف بأن مالك بن نبي من بين المفكرين الذين إنشغلوا وكرسوا فكرهم في دراسة الواقع الحياتي، حيث نجده إنشغل بفكرة الإصلاح والنهضة والتغيير.

وقد جعل من فكرة التربية كوسيلة للتغيير من أجل تحقيق البناء والإقلاع الحضاري فالتربية عنده تربط وتتصل بالإنسان لأنه يعد المحور الأساسي في عملية البناء و التغيير وعليه يقوم البناء الحضاري.

ومنه يرى مالك بن نبي بأن البناء الحضاري ينطلق ويبدأ من نقاط قوامها معالم تربوية.

KeywordsAbstract

Civillzation, Education, Social Change, Man, Time, Land Thoughts World, Person/ People World, Things World.

Summary :

In this dissertation (Study) we did our best to Simplify the notion of « Civilization » according to Melek Ben Nabi and analyze its elements and its condittions. Not only but also, we tried to simplify the notion of « Education » according to him by analyzing its sides and its goals.

As well, we clariified and determine the overlapping relationship between civilization and Education according to Melek Ben Nabi, who is one of the most popular thinkers of world who are spent their lives to study the real life and the idea of restoration, renaissance, and change. He makes education as a way of change for the construction and the civilized.....

Melek Ben Nabi think that education has relation and links with humans life because it is considered as the basic element in the construction process. So, the civilized construction is based on this element.

Finlly, Melek Ben Nabi see that the civilized construction Starts and ends from some points are based on educational landmarks.